# الإمبراطورية العثمانية

## وعلاقاتها بمصر في منتصف القرن الـ ١٩


تأليف

الدكتور سحمي متولي

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة المنيا



مكتبة التاريخ العثماني

الطبعة الأولى

١٩٨٠

# الإمبراطورية العثمانية

## وعلاقاتها بمصر في منتصف القرن الـ ١٩


تأليف

الدكتور محمود متولى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب ـ جامعة المنيا



الطبعة الأولى

١٩٨٠

# مقدمـــة

كان لى شرف التقدم بهذا البحث ممثلا لجمهوريـــة مصر العربيـــة ولجامعة المنيا الى مؤتمر الدراسات والثقافة الاسلامية الذى عقد بجامعة كوينزلاند فى استراليا « كلية شـــمال برسبن للدراسات العليا » فى الفترة من ١١ الى ١٣ اغسطس سنة ١٩٧٩ .

ولقد وافق المؤتمر على ان يكون هذا البحث ضمن الأبحاث المقبولة والتى نوقشت على المستوى الأكاديمى والعلمى لأساتذة متخصصين فى دراسات الشرق الأوسط ولقد رأيت ان أقوم بنشر هذا البحث باللغـــة العربية — حيث كان قد كتب باللغة الانجليزية طبقا للائحة المؤتمر .

وكان عنوان البحث هو :

ولقد كان الجديد فى هذا البحث يتلخص فى الاضافات التالية :

**اولا** — ان الامبراطورية العثمانية بلا شك لم تكن تمثل عصر ظلام بالنسبة للاســـلام بوجه خاص أو للأمة العربية بوجه عام ، وأن لهذه الدولة الإسلامية فضـــل كبير فى حماية الاســـلام فى فترة كان يمكن أن يتعرض فيها لغزوات صليبية وغارات اوربية تعصبية .

**ثانيا** — ان العالم العربى عندما خضـــع للدولة العثمانية بصفتها دولة تملك فرض السيطرة وقوة عظمى ملكت ناصـــية الحرب فى ذلك الوقت بقدر ما كان العامل الأساسى لخضـــوع هذا العالم بسبب المظلة الاسلامية التى كانت ترفع لواءها الدولة العثمانية وتتزى بها .

**ثالثا** — اذا اردنا ان نقيس مـــدى التحضر الذى كانت تعيش فيه الدولة العثمانيـــة فانما ذلك يقاس بما كانت تتيحه للانســـان من مكانة وما توفره له من ضمانات وما تمنحه اياه من حريات ولكن ذلك كله كان مفقودا ولم يكن قاصرا على الدولة العثمانية ... فقد كانت هـــذه هى

سمه العصر ، والدولة العثمانية كانت فاقدة لمقومات الحضارة الحقيقية وان لم تكن محرومة من عمودها الفقرى ولكن لم تحاول السير فى طريق البناء الحضارى للظروف داخلية او اخرى خارجية المت بها .

رابعا — ان محمد على وصدامه مع الدولة العثمانية لم يكن يهدف كما حاول بعض الباحثين او المؤرخين اثباته بأنه حاول الاستقلال بأمة عربية او انه كان يدعو لفكرة العروبة او الانفصال بالوطن العربى .. ذلك كله لم يدور بخلد محمد على وانما الحقيقة التاريخية اكدت أن محمد على كان داعية لحماية الاسلام من ربقة اوربا وانه كان يهدف الى دعم الدولة العثمانية فى مواجهة اوربا وانه فوق ذلك كان لا يطمع فى الاحاطة بالسلطان او الخليفة العثمانى بل كان لا يطمع فى اكثر من أن يكون الصدر الأعظم ( اى رئيس الوزراء ) .

ولعل ذلك الراى الذى لا يعترف بعض المؤرخين ايمانا منهم بتاصيل الفكرة العربية عند محمد على ... الا انه واضح من سياق الاحداث التاريخية ان محمد على كان بعيدا عن القومية العربية ( وان كنا لا يجب ان نوجه هذا الراى بالنسبة لابراهيم باشا الذى تثبت الكثير من الوثائق انه هو الذى كان حقا يؤمن بالطريق العربى ) .

خامسا — ان محمد على كان لا يريد الصدام مع الدولة العثمانية بقدر ما كان يريد حمايتها وانه كان يتمنى ان تستمر الدولة العثمانية قواه ضد اعداء الامة العثمانية الاسلامية .

سادسا — ان محمد على اجبر على الصدام مع الدولة العثمانية اكثر مما كان مديرا لهذا الصدام .

سابعا — ان اتفاق الدول الاوربية كاد يكون متساويا فى محاولاتها اسقاط الخلافة العثمانية والفكر الاسلامى .

ثامنا — فيما يتعلق بمصر وحركتها التاريخية فان الكثير مما حققته فى عهد محمد على اكد حيوية الشعب المصرى وامكانيات هذا الشعب ولكن اكد فى ذات الوقت ان القوى الاوربية لن تسمح لمصر بأن تلعب دورا على المسرح السياسى العالمى ومن ثم تؤكد حركة التاريخ ان القوى العظمى لا تريد أن تترك مصر قوية بل لابد وان تتضافر عليها لكى تحجم من دورها فى المنطقة .

**تاسعا** ــ اثبتت حركة التاريخ ان هناك قوانين مجردة تحكم طريق البشرية رغم صعوبات قياس هذه الحركة وتعقد وضـــع الموازين لها ، فلولا أن محمد على حكم من خـــلال بيروقراطية مركزيه ومؤسســـات فردية ، وابعد المسافـــة بينه وبين الجماهير ما كان يمـــكن أن يسقط او تهتز امبراطوريته مهما كانت دوافع التحدى الآتية من الخارج ، ايضا لولا ان الدولة العثمانية كانت تحمل بذور هدمها من الداخل ما كانت قد اصيبت بمجموعة متوالية من الهزائم قضت عليها .

**عاشرا** ــ لا زالت الكثير من الوثـــائق التى من الممكن أن تعطى حقائق جديدة حـــول الموضـــوع لم تبحث بعد ومن ثم فان الحقـــائق المجردة التاريخيـــة لا يمكن أن تثبت عند موقف ومن هنـــا ... فاننى ارجو أن يكون الباحث قد بذل جهده قدر ما أتيح له من مادة علميـــة تحت يديه وبذلك أرجو أن يغفر لى القارىء قولى بأن الحقيقة التاريخية يمكن فى يوم من الأيام أن تتغير ولكن يظل الحس التاريخى قادر فى النهايـــة على أن يعطى لنا نتائج مقنعة عما وصلنا اليه .

أرجو أن اكون قد وضعت لبنة جديدة فى هـــذه الدراســـات تلقى بعض الأضواء على الجوانب الخفية ... وعلى الله قصد السبيل .

مصر الجديدة ١٠ اغسطس ١٩٧٩

**دكتور محمود متولى**

مكتبة التاريخ العثمانى

**تمهيـــد : ــ**

لازالت حتى الان توجه الى الدولة العثمانية الكثير من الانتقادات حول سياستها نحو العالم الاسلامى بصفة عامة ، والعالم العربى بصفة خاصة حيث تلقى بالكثير من التهم على الدور الذى لعبته هذه الدولة فى حقبة تواجدها . والكثير من الباحثين يحاولون القاء التبعة بالنسبة لتخلف الوطن العربى بصفة اساسية على السياسة العثمانية داخل هذا الوطن خلال فترة حـــكم العثمانين الطويلة والتى امتدت الى اكثر من اربعـــة قرون كامـــلة تقريبـــا .

ولكن هذه الأحكام تحمل الكثير من التعسف وتتضمن فى طياتها بعض العاطفية وتبعد الى حد ما عن الحـــكم الموضـــوعى على تاريخ الدولة العلية ( الامبراطورية العثمانية ) .

ولكى نكون منصفين فى اعادة تقيم الدولة العثمانية لا يجب أن نعتمد على كتابات المستشرقين كمراجع لانها ليست مطلقة الحياد ، أو الكتابات الأوربية ــ رغم أننا لا ننكر أن بعضها كان موضـــوعيا ومنصفا لانها فى معظمها كتبت بروح صليبية ولم تكتب لوجه التاريخ تماما . كما أنه من الجدير بالذكر أن الكثير من وثائق التاريخ العثمانى لازالت حبيســـة فى الأرشيفات العلميـــة ولم يفرج عنهـــا الى حد ما ... وذلك يجعل من الصعب دراسة تاريخ هذه الدولة الدراسة الوثائقية التى تحتمل شبهة أو تأويل .

فهناك وثائق خاصة بتاريخ الامبراطورية العثمانية موزعه على ثلاثة قارات هى التى كانت تحكمها الامبراطورية وهى قارة آسيا وأوربا وافريقيا فلا زالت فى بغداد وبودابست وصوفيا وفينا وموسكو ولندن وباريس واستنابول آلاف الوثائق التى لم يفرج عنها حتى الآن ، وهى خاصـــة بالتاريخ العثمانى . ولازالت بعض الوثائق فى بغداد ودمشق والبصرة وصنعاء واليمن الجنوبيـــة ( عدن ) ومكة والمدينـــة والقاهرة والرياض وأنقره والكثير أيضا فى طرابلس وتونس والجزائر . صحيح أن البعض من هذه الوثائق قد أفرج عنه والبعض الآخر قد أتيح للكتاب والباحثين الغربيين تناوله ولكن اعادة تقييم هذه الوثائق على أسس علمية لكتابة التاريخ العثمانى ضرورة أساسية لفهم هذا التاريخ .

ويكفى أن نقول أن بعض المتخصصين فى الدراسات العثمانية اكدوا وجود ما يقرب من ١٥٠ مليون وثيقة فى دور المحفوظات فى استنابول وحدها خاصة بتاريخ الدولة العثمانية لم تدرس بعد ، ولم يصنف منها الا عدد قليل جدا كذلك لازالت دور المحفوظات فى بعض الاماكن الأخرى تملك مجموعة من المخطوطات لم تنشر بعد يضاف الى هذا ان الكثير من اخبار الرحلات التى كان يقوم بها المبعوثون الرسميون والتقارير الرسمية التى كانت ترسل من عمال السلاطين والخلفاء لازالت حبيسة داخل دور الوثائق الرسمية وهى فى حاجة الى من يخرجها من الظلمات الى النور .

كل هذا ولا شك ضرورة علمية يمكن بعد الاطلاع عليها الاستفادة بها فى اعادة كتابه تاريخ الدولة العثمانية على اسس جديدة .

---

ان مأساة الامبراطورية العثمانية فى نهاية أيامها والأحداث التى مرت بها نتيجة لضغط الدول الكبرى فى ذلك الحين ــ الروسيا وانجلترا والنمسا وفرنسا أملا فى نهب ممتلكاتها الشاسعة ... تعتبر هذه المأساة أهم ظاهرة تاريخية خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . ومع ذلك لا يجب أن ننكر أن الامبراطورية العثمانية كانت محور سياسة العالم فى أجيال عدة وكانوا يحكمون فى ثلاث قارات أوربا وأسيا وافريقيا وملكوا الشرق الاسلامى من فارس حتى مراكش وملكوا آسيا الصغرى وتوغلوا فى أوربا حتى بلغوا اسوار « فينا » وكانوا سادة البحر المتوسط من غير نزاع حيث جعلوه بحيره عثمانية لا أثر للأجنبى فيه أما البحر الاسود فكان بحيرة عثمانية لا يباح دخوله لأجنبى .

لقد كانت الدولة العثمانية فى نشأتها ذات طبيعة خاصة فهى عسكرية حيث بدأت امارة ثغر ( ثغر اصطلاح فى التاريخ الاسلامى يعنى قطعة أرض على حدود الأعداء ) ثم تحولت الى سلطنة ثم الى سلطنة وخلافة ، وقد طورت الدولة مساحتها خلال ١٠٨ سنوات وفى عهد ثلاثة فقط من أمرائها مساحتها من ١٠٠٠ كم٢ الى ٥٠٠ر٠٠٠ كم٢ وقد استطاع بايزيد عن طريق السلطان برقوق المملوكى أن يحصل من الخليفة العباسى فى القاهرة على لقب سلطان فأصبحت الادارة العثمانية سلطنة رسميا وكان هذا تتويجا شرعيا لواقع العثمانيين .

السنة والشيعة بحيث دارت حروب اهلية ومحلية استمرت مدة قرنان من الزمان ، ولاشـــك ان ذلك العهد كله ارتبط بحكم استبدادى واغلاق للتيارات العقليـــة وسجن للأفكار وقفل باب الاجتهـــاد وتسلط الفكر المحـــافظ والجمود (١) .

وفى ظل ذلك تدهـــورت مرافق الدولة فى الشرق الأدنى قبل مقدم العثمانيين بفترة ، تدهـــورت مرافق الدولة الاقتصـــادية والسياســـيه والاجتماعية ، واذا كان انهيـــار أى مجتمع يتم حين لا تستطيع القوى الاجتماعية ان تؤثر فى الحاكم او توجهه فان السلطة انفصلت عن قواعدها منذ فترة طويلة قبل سيطرة العثمانيين . ولكن ما هى جناية العثمانيين على الوطن العربى ؟

ان الجنايـــة التى ارتكبها العثمانيون فى حق الأمة العربيـــة انهم ابقوا الحـــال على ما هى عليـــه وكان ذلك يعود من وجهـــة نظرهم ( اى نظر العثمانيين ) الى عاملين :

**الأول** : أن العزلة أسلم وأبقى لهذه المناطق التى لو فتحت ابوابها لأصبحت لقمة سائغة للغرب الذى كان يتطلع بشهوة نحو الاستعمار .

**الثانى** : أن هذا الوضع ظل ساريا منذ فترة طويلة فأى تغيير قد يؤدى الى انفصـــال هـــذه الأقـــاليم عن الدولة نفســـها وبهذا تخسر الدولة اراضـــيها .

ومن هنا كان حرص الدولة العثمانية على تجميد الوضع السياسى فى الوطن العربى وفصـــل هـــذا الوطن عن اوربا وعزله كامـــلا عن التيارات المتجددة فى ســـماء الحضارة الأوربية التى بدأت تخوض مرحلة البعث من واقع مصلحة الدولة ومن خـــلال الحرص على عدم اغتيـــال اوربا لأقاليمها وللاســـلام . فالعثمانيون لأســـباب دينية وسياســـية اثروا أن يحموا أملاكهم عن الخطر الأوربى الاستعمارى عن طريق عزلها عن أوربا ولاشك أن مسئولية الدولة العثمانية كبيرة فى هـــذا الموقف ، انها لم تكن مسئولة مسئولية كاملة عنه بالقدر الذى كان عليه العرب

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : دعوة لفتح ملف الدولة العثمانية مجلة العربى الكويتية العدد ٢٣٣ ابريل سنة ١٩٧٨ ص ٦٠ .

قبل مقدمهم حيث أن العالم العربى اضطر ابان هـــذه العزلة الى الاعتماد على موارده الداخلية التى كانت قد نفذت منذ عدة قرون .

لقد قبل الوطن العربى سيطرة العثمانيين وسيادتهم طواعية ، خاصة وان الخطر الشيعى كان قد بدا يظهر فى الافق ، كما أن الخطر البرتغالى بدا يحاول حصار الأمة العربيـــة عقب الكشوف الجغرافيـــة التى نجحت فى اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح (١) .

ولقد وقف العثمانيون بقوتهم الحربيـــة وبالذات فى قوة شـــباب الدولة ضد احتمالات الغزو الصليبى لأرض الأمة العربيـــة ، فالعثمانيون بحق حموا قيم الوطن العربى وتقاليده وتراثة من التدمير ولكن كان ذلك الى حين فيضعف الدولة العثمانية انتهى الدور الذى لعبته وأدت العزلة الى نتائج قاتلة ووقع ما كان يخشـــاه العثمانيون تبريرا لعزلة المنطقـــة العربية عن التيارات الحضـــارية والفكرية المحيطة بها . أن توهم الخطر من ناحية انتقال التطور الحضارى كانت دوافعه الأولى الخوف من جانب الامبراطورية أن تضيع أقاليمها وهو ما حـــدث بالفعل ـــ فى فترة لاحقه بعد ضعف الدولة العثمانيـــة ـــ على يد الاســـتعمار الأوربى ، وكانت احتمالات وجود نوع من الانفتاح على أسباب النهضة الأوربية والاحتكاك الحضـــارى تجعل قدرات شعوب المنطقـــة على مقاومة الزحف الغربى أقوى واطالة عمر الدولة أكثر امتدادا . الا أنه اذا كنا لا يجب أن نلقى كامل المسئولية على العثمانيين فى التخلف الذى أصبح عليه العرب خلال حكمهم فان العثمانيين كانوا احد الأســـباب الرئيسية لهذا التخلف (٢) لأن مفهوم الحكم شىء آخر بالنسبة للشعوب ، ولا يعنى أبدا أن الجمود والعزلة يحميان مجتمعا ما من الانهيار وما وظيفـــة الدولة الحقيقيـــة الا الحماية والأمن والدفاع عن اقاليمها ودفع عجلة التطور فيها والأخذ بأسباب الحضـــارة والنمو لاحساس الانســـان فيها بقيمة الحيـــاة . فالعثمانيون يتحملون تبعـــة تفاقم مأساة التخلف التى كان يعيش فيهـــا الوطن العربى فى وقت كان من الممكن التخفيف منها لو اقتدوا بنهضـــة

---

(١) عندما ظهر العثمانيون على المسرح السياسى كانت البلاد العربية فى حالة خذر واعياء تام ولم يلقوا مقاومة تذكر الا قليلا ، فباسم الاسلام جاءوا الى الأرض العربية وباسم الاسلام أصبح العثمانيون سادة البلاد العـــربية .

(٢) . د. نور الدين حاطوم : « نحن بحاجة لثورة علماء ومصلحين مجلة العربى الكويتية العدد ٢٣٥ يونيو ١٩٧٨ ص ٥٦ .

# حول نشاة وسقوط الامبراطورية العثمانية فى آسيا وأوربا وافريقيا

مرت الامبراطورية العثمانية بثلاثة مراحل يفصل بين كل منها سجل حافل بالحركة والتوسع أو السقوط والانحلال أو القوة والعظمة ولكنها فى النهاية سقطت بلا رحمة وتنازعت حولها الآراء ما بين تعصب لها وما بين مضاد ولاعن اياها . وظلت الدولة لا تجد من ينصفها تاريخيا بعد أن كتب تاريخها بغير أبنائها . ولعله مما زاد الموقف تعقيدا انقسام التقييم المنصف لها من جانب العالم العربى ، ذلك أن هذا العالم انقسم فى مشرقه الى متعصبين ضدها لما شاهدوه من سياستها والتى فاقت أى احتلال مر به هذا المشرق العربى . بينما المغرب العربى كان متعاطفا مع الامبراطورية العثمانية وظل مرتبطا بها ـ رغم انفصاله الواقعى عنها نتيجة للاحتلال الأوربى المبكر لها ـ حتى آخر عمر هذه الدولة .

يضاف الى كل هذا أن الكثير من الكتابات عن أطوار هذه الامبراطورية كتب بيد مستشرقين أوربيين ، أو كتاب من دول أوربية كانت الامبراطورية العثمانية تسيطر عليها ، ومعظم هذه الكتابات لم يكن منصفا للامبراطورية كما أن وجهة النظر الصليبية كانت ماثلة أمام هؤلاء الكتاب .

ولكن آن الآوان أن توضع الحقيقة التاريخية فى مكانها الصحيح حول هذه الامبراطورية ، لتوضع تحت مجهر المؤرخين ليقولوا ما لها وما عليها مستندين فى ذلك الى الوثائقية والنظرة الموضوعية . ومن هنا تجىء هذه المحاولة المتواضعة دون ما تهويل أو تهوين بالدور الذى لعبته هذه الامبراطورية فى موكب التاريخ البشرى .

## الطور الأول للامبراطورية العثمانية :
## النشأة والتكوين :

فى القرن الثالث عشر الميلادى أجدبت الأرض فى جزء كبير من المعمورة نتيجة لقلة الامطار ، فأصاب القحط اكثر البلاد الممتدة بين سور الصين وآسيا الوسطى .. بحيث اضطرت القبائل التى تقطنها الى الهجرة بحثا عن مراع جديدة ، وكان « الأتراك العثمانيون » من بين أولئك المهاجرين ، وزعيمهم يومئذ « سليمان شاه » الذى جعل شعاره علما عليه صورة لرأس « ذئب اغبر » (١) .

والواقع أن هؤلاء الأتراك العثمانيين كانوا جبابرة قساة يعيشون على الفطرة ، اقوياء ، ذوى وجوه مغولية مسطحة تتوسطها عيون مشقوقة .. وكانوا اشبه بالذئاب الغبراء التى تجوس خلال تلك البرارى الفسيحة فى آسيا الوسطى ... لكنهم — برغم ذلك — كانوا منظمين يدينون لزعماتهم بالخضوع التام والطاعة العمياء . وقد انقضت عليهم قرون وهم ينصبون خيامهم السوداء فى سهول « سنجاريا » عند حافة صحراء « جوبى » ... فلما اضطرهم نقص الماء والخضرة الى النزوح عن بلادهم قادهم زعيمهم « سليمان شاه » نحو الغرب ، ثم وجد أمامه قبائل التتار فانثنى بقومه جنوبا عبر « أرمينيا » الى أن استقروا فى آسيا الصغرى حيث بدأ هناك تاريخ العثمانيين الحديث (٢) .

ولقد تضاربت أقوال المؤرخين فى نسب الأتراك العثمانيين ، ولكن جاء فى التقسيم القديم الأثنولوجى أنهم من جملة القبائل القوقازية ، لأن عدة قبائهم منهم تشبه كل الشبه أو بعض أمم القوقاز (١) .

وكذلك اختلفت الروايات حول تعداد فصائلهم وتبعا « لأبى الغازى خان خوارزم » فى القرن الـ ١٨ عدها البعض خمسا هى :

القبجان ( أهل البادية ) ، والأويجور ( وكان يطلق عليهم أصحاب شريعة لأنهم كانوا — عكس غيرهم من هذه القبائل — ملتزمون بتطبيق بعض القواعد المعروفة لهم والمقدسة فى عرفهم والمتوارثة عن أجدادهم وكان من يخالفها يعرض نفسه للعقاب المعنوى والمادى من الجماعة التقليدية فى أن مجتمع الزراع لا يصلح للقتال والحرب . اذ أن العثمانيين القارلون ( الثلجيون ) (٢) .

ويرجع أصل آل عثمان الى قبيلة « قابى خان » وهى تنتسب الى عشيرة قانق لى » الزراعية . ولعل ذلك قد يغير من نظرة الكثيرين التقليدية فى أن مجتمع الزراع لا يصلح للقتال والحرب . اذ أن العثمانيين بانتسابهم الى أصول قبلية زراعية يدحضون هذه النظرية التقليدية — وهناك الكثير من الأمثلة على مجتمعات زراعية كان لها بأس شديد فى

---

(١) دائرة معارف البستانى م ص ٩٤ .

(٢) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثمانى بيروت ( مكتبة الصادر ) سنة ١٩٢٥ ص ٩ .

الحرب وفنون القتال — ولعل مما يساعد على فهم الوضع بالنسبة للعثمانيين الذى أحاط بهم وكونوا امبراطورية ضخمة شملت أجزاء كبيرة من ثلاث قارات ( آسيا وأوربا وافريقيا ) فيما لا يتعدى الثلاثة قرون وهى فترة وجيزة نسبيا فى عمر التاريخ .

ومن الجدير بالذكر أن الأتراك العثمانيين هم ابناء عمومة للأتراك السلاجقة ( الذين يرجعون بأصلهم الى قبائل الغز من أواسط آسيا وكان زعيمهم سلجوق قد هاجر بقومه الى بخارى حيث اعتنقوا الاسلام ، وان هؤلاء الترك السلاجقة كونوا لهم دولا كثيرة فى الممتلكات الاسلامية فى شرق العراق وفى الشام ، وقد قام هؤلاء الأتراك السلاجقة بحماية الاسلام منذ تكوينهم لدولهم فى الفترة من ( ١٠٧٧ — ١٣٠٠ م ) ولكن لم تلبث أن تقوضت دولتهم بانغماس حكامهم فى الترف الذى أضعف عسكريتهم حيث تدفق المغول واكتسحوا الدول الاسلامية حتى انتهوا الى آسيا الصغرى فانتزعوا السلطة من أيدى هؤلاء السلاجقة ) . وكان السلاجقة قد دفعوا الأتراك العثمانيين بعيدا فى المنطقة النائية من آسيا الصغرى ليأمنوا جانبهم ويستريحوا منهم (٣) ، اذ كانوا كما سبق وان قلنا أهل خشونة وبداوة غليظة .

ولقد كانت قبيلة « قابى خان » ( من ترك العانق لى ) ترجع بأصلها الى عشيرة الغز تقطن جبال « التون طاغ » فى آسيا الوسطى ، فلما زحف المغول على الجهة الغربية تحت قيادة « جنكيز خان » فر الترك من أمامهم وشرعوا يتقدمون الى « ديار الاسلام » وفى عجلتهم قبيلة « قابى خان » برئاسة « سليمان شاه » ابن « قبا الب » . وقد تقدمت هذه القبيلة الى « ماهان » فى « كرمان » . ثم جندت نفسها فى خراسان لخدمة « خوارزم شاه جلال الدين » فى أثناء حروبه ضد المغول ، ولما هزم خوارزم شاه أمام المغول وتشتت جنوده فر « سليمان شاه » جد آل عثمان الى « كردستان » سنة ١٢٤٤ م ثم رحل عنها الى « أرزنجان » ولكن لم يرقه هو وقبيلته المكان ، فانتهز فرصة موت « جنكيز خان » ليحاول الذهاب الى خراسان مرة أخرى ، ولكنه غرق فى أثناء اجتيازه نهر

---

(٣) أمين شاكر — سعيد العريان — محمد مصطفى عطا : تركيا والقياسة العربية ( من خلفاء آل عثمان الى خلفاء أتاتورك ) دار المعارف بمصر ١٩٥٤ ص ١٢ .

الفرات عند قلعـــة « جعبر » ســـنة ١٢٣١ م ولا يزال قبره هنـــاك معروفا باسم « ترك مزارى » اى مزار لترك (١) .

والظاهر ان اولاد سليمان شـــاه لم يكونوا على راى والدهم فى العودة الى خراسان ، لانهم لم يلبثوا ان انقسموا عقب موته ، فواصل السير اليها من ولديه الكبيرين « كونطغدى ، سنقورتكين » مع القسم الأكبر من القبيـــلة ورجـــع الى أرمينيـــا كل من ابنيـــه « ارطغرل » « ودوندار » مع عدد قليل يتراوح بين ٤٠٠ ــ ٥٠٠ شخص ، وشرعا يتنقـــلان ما بين « باســـين » و « ســـورمة لى » « جوقـــور » فى آســـيا الصغرى .

لكن أرطغرل لم يستقر هو ومن معه فى أرمينيـــا . فزحفوا الى الغرب وخلال ترحالهم وقع نظرهم على جيش متلاحمين فى صراع عنيف وبسائق العطف الطبيعى على الضعيف منهما أو بغضا فى المغول ــ والذين كانوا أحد الجيشين ــ وكان لهذا أثره فى انتصـــار الجـــانب الضعيف ، والذى كان على رأسه علاء الدين الأول سلطان « قونية » السجلوقى . واعترافا بالجميـــل ، أقطع عـــلاء الدين « أرطغرل » المنحدرات الشرقية من جبال « طومابنج » وأرمنى للصيف ، وسهول « سكود » للشتاء مع منحه لقب « أوج بكى » أى محـــافظ الحدود . ويقدر المؤرخون المساحة المذكورة بحوالى ١٥٠٠ كم٢ . وكان أرطغرل طموحا ، فلم يقنع بمهمة المحافظة على الحدود ، بل بدأ يبذل الجهـــد للاستيلاء على المناطق المجـــاورة باسم السلطان « علاء الدين » حتى وصل الى « اسكى شهر » فمنحها السلطان له ولأولاده من بعده الى جانب ما سبق منحه اياه ، وتغير لقبه ليصبح « سلطان اوكى » اى جبهـــة السلطان (٢) .

وقد ولد « سكود » لأرطغرل فى ســـنة ١٢٥٨ م ( اى عام سقوط الخلافة العباسية وانتهاء ملك العباسيين فى بغداد على يد « هولاكو »

---

(١) محمد سهيل بيهم : المرجع السابق ص١١ .

(٢) دكبور احمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآســـيا وحضاراتها القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر سنة ١٩٧٩ ص٢٤٤

دكتور صائق بكر العبوات : العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ، ١٩٧٦ ١٩١٦ ) مطابع سجل العرب القاهرة ١٧٩ ص١١

المغولى ) ولد سماه عثمان الذى خلف اباه ارطغرل عقب موته فى سنة ١٢٧١ م ( ٦٨٠ هـ ) . والى عثمان هذا ينسب اسم الدولة العثمانية لانه هو الذى وضع اسس عظمتها . وبمجرد ان تولى عثمان مكان ابيه بدأ يوسع ممتلكاته التى ورثها عن والده وساعده على ذلك ما كان قد اعترى الامبراطورية البيزنطية من ضعف وانحلال وقتئذ . وظل عثمان يتوسع حتى بلغ شواطىء البحر الأسود وبحر مرمرة ووصلت المساحة التى كان يسيطر عليها حوالى ١٦ الف كم٢ . وقد فتح له ابنه « أورخان » مدينة « بروسه » . ليتخذها « عثمان » عاصمة له يقيم بها . ولكن من المهم أن ندرك أن كل ما قام به عثمان من فتوحات كان يتم باسم السلطان علاء الدين الثالث والذى كافأه على انتصاراته بأن أصدر منشورا عينه أميرا على ما منحته فى آسيا الصغرى ولقبه فيه « عثمان غازى حضر تلرى مرزبان عاليجاه عثمان شاه » ، وكان ذلك فى سنة ١٢٨٩ م ( ٦٨٨ هـ ) (١) .

ومن الجدير بالذكر أن عثمان بدأ يحصن نفسه فى مدينة « قره جدصار » وكذلك مدينة « بنى شهر » وكان يدرب فيهما جيوشه الغازية والتى كانت تتجه نحو مرمرة والبحر الأسود ، ولم يستمتع عثمان باستقلالة فى هذه الفتوحات لأنها كانت تتم على أساس أنه عامل من عمال السلطان جلال الدين شاه ، كما سبق وأن قلنا ، الا أن الظروف ساعدته ، اذ أنه بينما كان يواصل تقدمه فى فتوحاته أسقط المغول الدولة السجلوقية وكان ذلك فى سنة ١٣٠٠ م ( ٦٩٦ هـ ) ولجأ آخر سلاطين السلاحقة الى امبراطور بيزنطة عدوه اللدود الذى غدر به وقتله فى عام ١٣٠٧ م . وبسقوط الدولة السلجوقية وتقسيم أملاكها بين الأمراء والقواد ، اقتدى عثمان بغيره حيث استقل بالجزء الذى كان يحكمه ويسيطر عليه ، وتلقب بلقب « السلطان عثمان » ومن هذا التاريخ يبدأ تكوين الامبراطورية العثمانية فى صورتها الأولى،

ولم يتمكن عثمان أن ينتقل الى بروسة الواقعة على سفح « الأولمبوس » بعد أن فتحها ابنه أورخان ليحقق حلمه فى أن تصبح عاصمة له وليقيم فيها ذلك أن نبأ سقوطها وصل عثمان وهو على فراش الموت وكان ذلك فى سنة ١٣٢٦ (٢) .

---

(١) دكتور احمد السادات : المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٢) امين شاكر وآخرون : المرجع السابق ص ٢٤٥ .

وبموت عثمان تولى من بعده ابنـــه « أورخان » الذى كان قائد جيوش والده ، وكان أورخان هـــذا هو اول من انشأ جيشـــا نظاميا للعثمانيين هو الذى يعرف باسم « الانكشـــارية » أى الجند الجدد . وقد عرفت الانكشارية فى بداية عهدها بالبسالة النادرة والشجاعـــة الفائقة وشـــدة المراس ولكنهم على مرور الزمن ركبهم الغرور وتدخلوا شئون السلطة وتركوا مهامهم الرئيسية فى الفتح والغزو وحماية الدولة واشتغلوا بالسياســـة مما جعلهم خطرا على الدولة فأصبح التخلص منهم واجبا وطنيـــة ولكن لم يستطع أحد الســـلاطين ذلك الا فيما بعد ـــ على عهد الســـلطان محمود الثـــانى ـــ فى النصف الأول من القرن الـ ١٩ .

وقد ســـار أورخان على نهج والده « عثمان » فمد فتوحـــه فى آسيا الصغرى واستطاع أن يفتح المدينـــة العظيمـــة « أزمير » وأن ينشىء فيها أول جامعة عثمانية أسند ادارتها الى داود القيصرى الذى كان قد تلقى علومه ومعارفه بمصر (٣) .

ولم يلبث أورخان أن وجه ضرباته المركزة الى المدن الساحليـــة حيث القى الفزع فى قلوب البيزنطيين الى درجـــة أن امبراطـــورهم « قانتاقوزن » طلب الى أورخان الدخول فى حلف معه وزيادة فى توثيق الصلات زوج امبراطور بيزنطة ابنته لأورخان فى سنة ١٣٤٥ م . ولكن هذا الوضع الجديد لم يحل دون اندفاع الأتراك العثمانيين فتمكن ولى العهد الأمير سليمان من عبور الوردنيل الى شـــبه جزيرة « تراقيا » ويثبت اقدامة فى غاليبولى .(١) . وقد حكم أورخان ٣٦ عـــاما وتوفى وهو فى الخامســـة والسبعين من عمره وكان ذلك فى ســـنة ١٣٠٩ م بعد أن ترك لابنـــه من بعده مساحـــة تزيد على ربـــع مليون كم٢ . وفى ذلك الحين توفى سليمان ولى العهد أيضـــا (٢) .

---

(٣) ارلجع السابق ص ١٥ .

(١) بعبور الاتراك الدردنيل الى شبة جزيرة ترافيا وضعوا ايديهم على خط الدفاع الاول عن اوربا الشرقية ومنه وجهوا ضرباتهم المحكمة الى جيوش بيزنطة التى طالما اوقعت الضرر بالمسلمين فى ديارهم ووطئت اقدامها أرضهم واغملت فيهم السيف حتى دماءهم انهارا ، كما ساقت النساء والأطفال الى بلادها أسارى .

(٢) فى سنة ١٣٨٩ دارت معركة بين العثمانيين يقودهم مراد الاول وابناه بايزيد ويعقوب ، وبين القوات المصرية وحلفائها بين المجر والبلغار والألبان والبشناق وكـــان

وتعرضت جنوده للكثير من المهانة ، وتعرضت البلاد فى عهده لفتنه داخلية قادها بعض الدراويش وادعياء التصرف بزعامة الشيخ بدر الدين بن قاضى سماونه وكان للشيخ بدر الدين مساعدان قويان فى هذه الثورة احدهما مسلم وكان يدعى « بير قليجة مصطفى » ، والآخر يهودى يدعى « طورلاق كمال » وقد على انتشار الثورة واستحال امرها تأييد امير جنوب رومانيا المعادى للعثمانيين لها . ولكن « محمد » قضى على هذه الفتنة ، الا ان هذه الصراعات انهكته فتوفى فى عام ١٤٢١م (٢) .

ورغم هذا الانحلال الذى اصاب الدولة الا انه يعود الفضل الى محمد الأول فى لم شعث الدولة (٣) . واصلح ما كان قد افسدته الحرب الأهلية . وقد نجح محمد الأول فى أن يوسع حدود دولته رغم كل الصعوبات التى احاطت به حتى وصلت مساحتها قبيل وفاته الى حوالى ٨٦٠ر٠٠٠كم٢ .

وقد تولى السلطنه بعد وفاة محمد الأول مراد الثانى وحدثت فى عهدة عدة ثورات ، الا انه استطاع ان يخمدها ورغم اتساع رقعه الدولة التى ورثها الا ان الضعف كان باديا عليها (٤) . وظل الحال كذلك حتى وفاته سنة ١٤٥١ حيث خلفه محمد الثانى المعروف باسم « محمد الثانى » المعروف باسم « محمد الفاتح » وبولايته تبدا الدولة العثمانية حقا شبابها وعظمتها وعصرا جديدا من حياتها يمكن ان نطلق عليه .

## عصر التوسع العثمانى الأعظم :-

فى سنة ١٤٥١ يتولى محمد الثانى عرش الامبراطورية ولم تكن سنة تتجاوز الواحد والعشرين عاما ، وقد قام امير « قرمان » بثورة سرعان ما اخمدها وحاول امبراطور الدولة الرومانية الشرقية تهديده باطلاق سرح الأمير « اورخان » « حفيد بايزيد » ما لم تحاول الدوله العثمانية مضاعفة الاتاوة التى كانت تدفعها لبيزنطه عقب الانهيار الذى اصابها بعد هزيمتها امام المغول . ولكن محمد الفاتح ( الثانى ) تغلب على هذه الصعوبات باللين والسياسة حيث كان يضمر فى نفسة املا طالما راود

---

(٢) محمد حرب عبد الحميد : « العثمانيون المفترى عليهم » مقاله نشرت فى مجلة « العربى » الكويتية العدد ٢٤٤ شهر مارس سنة ١٩٧٩ ص ٣٩ .

(٣) دكتور محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية دار الثقافة والنشر القاهرة سنة ١٩٧٦ ص ٢٨ .

أجداده وهو فتح القسطنطينيـــة واسقاط الامبراطورية البيزنطيـــة . وفعلا نجح محمد الثانى سنة ١٤٥٣ فى فتح هذه المدينـــة بعد ان اقتحم اسوارها وخاض معركة ضـــارية ضد اهل بيزنطة قتل فيها الامبراطور « قسطنطين باليولوغوس » وقائده « جستنيان » وكان تعـــداد جيش العثمانيين ٢٥٠ الف جندى ، ١٨٠ سفينة حربية ، ١٤ بطارية مدفعية ، قام بصنعها رجـــل من المجر يدعى « أوريان » (١) .

وقد تم على يد الأتراك العثمانيين فتح القسطنطينية لأول مرة فى عهد الاســـلام ودخل السلطان محمد الثانى كاتدرائية « أياصـــوفيا » وصلى فيها وأمر بالآذان وأن ينادى فى المدينـــة بعدم المعارضـــة فى اقامة شـــعائر الدين المسيحى ، وأطلق على القسطنطينيـــة بعد ذلك اسم اســـلامبول Islambul او اســـتامبول Istambul ومعناها « دار الســـلام » كما أطلق على السلطان محمد الثانى اسم محمد الفاتح (٢) .

ولم تتوقف فتوحات محمد الفاتح عند القسطنطينية ، بل فتح بلاد المورة وقضى قضاء تاما على كل مقاومة فى العرب تجاه حكم الـــدولة العثمانية ، وساعد محمد الفاتح على تحقيق ما حققه شـــعب مطواع دوب على تحمل كل المشـــاق عدا التفكير المستقل ، وجيش محترف ، ومدفعية جيدة ، وعبقرية فى التخطيط وجراة فى ميادين القتال (٣) .

وحين توفى السلطان محمد الفاتح فى ســـنة ١٤٨١ م كان قد حـــكم ثلاثون عاما وفقدت الدولة بموته بطلا رائعا وفاتحا عظيمـــا ، و اكبر

---

(١) محمد غنيم : لب التاريخ القاهرة ١٣٢٧ هـ ص ١٧٤ .
(٢) الدكتور عبد العزيز محمد الشـــناوى : المرجـــع الســـابق ص ٦٤٩ ــ ٦٥٠ .
(٣) الدكتور فائق بكر الصواف : المرجع السابق ص ١٦ .
(٤) من الجدير بالذكر أن مراد الثانى اضطر الى تدمير « سالونيك » نتيجة لثورتها ضده ، فهبت المجر وبولندا لمحاربة العثمانيين فى شـــكل حرب صليبية مرة اخرى وكان النصر فى البداية حليف المجر وبولندا ، الا انه تحول فيما الى جانب العثمانيين حيث انتصر مراد الثانى فى موقعة « فارنا » ثم فى سهل « قوصوه » وذلك فى سنة ١٤٨٨ م .
انظر امين شاكر وآخرون : مرجع سابق ص ١٩ .

الغزاة فى التاريخ العثمانى وقد مات وعمره فقط ٥٢ عاما حيث كانت قد دانت له آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومعظم شبه جزيرة البلقان وفى عهده كان العثمانيون قد وضعوا بثبات اقدامهم على جانبى بحر الأدرياتيك(١) .

ويعتبر فتح القسطنطينية هو المبدا الحقيقى لتاريخ الامبراطورية العثمانية ( بدأ الحصار فى ٩ ابريل سنة ١٤٥٤ م وتم الفتح فى ٢٩ مايو من العام نفسه ويوافق عام ٨٥٧ هـ ، اى ان المدينة سقطت فقط خلال خمسين يوما وهى ايام قليلة جدا لسقوط عاصمة امبراطورية ... كالامبراطورية البيزنطية ) . فقبل فتح القسطنطينية لم تكن الدولة العثمانية الا دولة كسائر الدويلات الاسلامية فى المشرق أو المغرب .

تولى بعد وفاة محد الفاتح بايزيد الثانى والذى دخل فى صراع مع أخيه الأمير «جم» الذى لجأ الى حكم مصر من المماليك والذى كان أيواء السلطنة المملوكية فى مصر لهذا الأمير سببا من أسباب الخلافات بين الدولة العثمانية والدولة المملوكة فى مصر والشام . وقد ظل هذا الخلاف يتصاعد حتى تولى سليم الاول ابن بايزيد الحكم .

ومن الجدير بالذكر أن سليم الأول قتل بعد ذلك معظم أخوته والكثيرين من أمراء أسرته خوفا من خروجهم عليه أو ثورتهم ضده . وقد اتهم سليم الأول من جانب بعض المؤرخين أنه دس السم لأبيه ولكن البعض الآخر علل وفاة والده بأنها كانت نتيجة للشيخوخة (٢) .

وبتولى سليم الأول السلطة فى سنة ١٥١٢ تدخل مرحلتها التوسعية العظمى الثانية ، حيث يحدث سليم الأول باستيلائه على الكثير من البلدان العربية انقلابا فى استراتيجية الدولة العثمانية لأنه غير سياستها من التوسع الآسيوى الأوربى الى التوسع الآسيوى

---

(١) هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربى الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفردية .
ترجمة الدكتورة زينب عصمت راشد ـ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى دار المعارف بمصر القاهرة سنة ١٩٦٢ ص ٨٩ .
(٢) الدكتور : أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق ص ٢٢٥ .

الافريقى وضمت الدولة فى عهده لاول مرة عددا من شعوب الامة العربية وبرز فيها الطابعان الاسلامى والعربى واستطاع سليم الاول خلال مدة حكمه القصيرة والتى لم تزد عن ثمانى سنوات ان يقهر شاه الفرس وان يضيف الى السلطنة العثمانية اقليمى كروستان وديار بكر وان يستولى على الشام ومصر وبلاد العرب وينتزعها من أيدى المماليك الذين دالت دولتهم على يده ، ولم يكفه انه أصبح سيد البلاد المقدسة ( مكة والمدينة ) التى دخلت طوعا فى حكمه ، بل تسلم أيضا من آخر الخلفاء العباسيين فى القاهرة الآثار النبوية الشريفة وحق الوراثة فى الخلافة الاسلامية (٣) .

وبهذا أصبح سليم الأول هو أول خليفة عثمانى وأصبحت الدولة العثمانية خلافة وسلطنة (١) . وعندما مات سليم الأول فى سنة ١٥٢٠ كانت مساحة الدولة العثمانية كالآتى (٢) :

١ — ممتلكاتها فى أوربا ١ر٧٠٢ر٠٠٠ ك٠م٢ .

٢ — ممتلكاتها فى آسيا ١ر٩٠٥ر٠٠٠ ك٠م٢ .

٣ — ممتلكاتها فى افريقيا ٢ر٩٥٠ر٠٠٠ ك٠م٢ .

ومجموع هذه الممتلكات كان ٦ر٥٥٧ر٠٠٠ ك٢٠ .

وبوفاة سليم تولى ابنه سليمان المعروف باسم سليمان المشرع أو القانونى واستمرت فى عهده الفتوحات ففى سنة ١٥٢٢ طرد فرسان رودس واستولى عليها واستولى على بلغراد ثم انتصر على فرسان المجر فى موقعة « موهكس » سنة ١٥٢٦ انتصارا رائعا وقتل ملكهم لويس الثانى وأصبحت المجر بعد ذلك مجرد ولاية عثمانية لمدة قرن ونصف من الزمان . وتقدم سليمان القانونى فى غزواته حتى وصل

---

(٣) حسين لبيب : تاريخ المسألة الشرقية مطبعة الهلال القاهرة سنة ١٩٢١ ص٢٦

(١) خطب لسليم الأول فى جوامع دمشق والقاهرة — وغيرها من العواصم التى دخلت فى حوزته وكانت تدين بالاسلام — باعتباره خليفة للمسلمين وضربت النقود باسمه باعتباره سلطانا عليهم .

(٢) دكتور احمد محمود الساداتى : المرجع السابق ص ٢٥٤ .

الى ابواب « فيينا » ولكنه لم يتمكن من فتحها الا انه ارغم امبراطورها فرديناند على دفع الجزية وكان ذلك فى سنة ١٥٢٩ (٣) .

واعتبر سليمان القانونى فى عصره سيد اوربا ولم تستطع اعنى القوى الاوربية فى اوربا الا ان تعمل له الف حساب ، وكان للدولة العثمانية فى عهده اعظم الاساطيل البحرية حيث اكتسحت اساطيله شواطىء بحر الروم وجزائره حتى وصلت الى سواحل اسبانيا ، ونشر رجاله مثل « بربروسة » « ودراغوته » الخوف والفزع على سواحل اوربا ، وطردوا الاسبان من الجزائر . وقد تجمعت ضد سليمان القانونى اساطيل البابا والامبراطور « والدوج » ودارت معركة بحرية ضخمة فى « بريفيزة » سنة ١٥٣٨ انتصر فيها العثمانيون ، وكانت املاك سليمان القانونى تمتد من بودابست على نهر الطونة الى اسوان على شلالات النيل ومن الفرات الى الجزائر (٤) .

وكان عهد سليمان القانونى هو آخر عهد السلاطين المعظام (٥) . اذ من بعده دخلت الدولة فى مرحلة حماية اراضيها وتوقف الفتح والغزو ، ثم دخلت مرحلة ثالثة هى مرحلة الانهيار والاضمحلال اذ بدأت الدولة تدريجيا تفقد قطعة قطعة من اراضيها ... فى بعض الظروف لأعدائها وفى كثير من الاحيان لمن يتظاهرون بأنهم أصدقاءها وبأنهم على استعداد للوقوف بجانبها لحمايتها من الاعتداء عليها ووصل الأمر فى النهاية الى ان الدولة فى حد ذاتها أصبحت كالرجل المريض فى حاجة الى من يرفع من معنوياتها حتى يؤجل فى موتها نهائيا حيث كان ذلك شىء حتمى ... فكيف وصلت الدولة الى هذا الوضع من الانهيار والانحلال بعد ان بلغت أوج عظمتها فى القرن السابع عشر .

---

(٣) حسين لبيب : المرجع السابق ص ٢٧ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) تولى العرش بعد وفاة أبيه السلطان سليم الأول فى سبتمبر سنة ١٥٢٠ وقد سمى بالعظيم لأن عصره هو أزهى عصور الامبراطورية العثمانية ، كما سمى بالقانونى لاهتمامه الشديد بادارة الدولة وتنظيم القوانين .

## بدء انحلال الامبراطورية العثمانية :

توفى السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٦٦ وشاءت اقدار الدولة الحزينة وفالها السيىء ان يتولى بعده ابنه سليم الثانى وكان سلطانا غير كفء لتحمل مسئولية حكم دولة مترامية الاطراف الى جانب انه كان مخنثا لا يملك صفات الرجـــال . وفى ذات الوقت كان العالم الاوربى من حوله يعاصر نهضة قوية وروحا جديدة بدأت تبعث فيه فازدادت الأمور تعقيدا . وكانت من صفات ســـليم الثانى السيئة انه كان ســـكيرا . ومن ثم ترك الأمور لوزرائه ، ورغم أن تركيـــا رزقت فى ذلك العهـــد بمجموعة من الرجـــال المخلصين الذين تولوا الادارة والمســـئولية ، الا أن فقدان القيادة وســـلوك السلطان جعل اليأس يخيم على الكثيرين بالنسبة لمستقبل الدولة . ولم يبدأ الانحلال فجاءة فى هـــذا العهد وانما بدأ تدريجيا . ولكن من الجدير بالذكر ان الدولة حققت بعض الانتصارات أيضا الا أن الثمن الذى دفعته كان غاليا جعل النصر والهزيمة يتساويان .

من ذلك نذكر أن الصدر الأعظم الذى كان يتولى الأمور ( الصـــدر الأعظم لقب كان يمنح لمن يشغل وظيفة رئيس وزراء السلطان فى ذلك العهد ) فى تلك الفترة هو « صقلى محمد » فكر فى استمرار الفتوحات والقضاء على الفتن والثورات التى بدأت تعانى منهـــا الدولة فأرســـل سنان باشا على راس جيش الى بلاد اليمن حيث فتحها وانتصر عليها ، وفتحت قبرص على يد « لالا مصطفى » ولكن تركيا فقدت ما يقرب من خمســـين الفا من جنودها ثمنـــا لهـــذا الغزو وأرســـلت حمـــلة الى « استراخان » باءت بالفشل وفقد الأتراك ثلاثة أرباع جنود الحمـــلة وأصبحت ســـيادة تركيا مشـــكوكا فيهـــا بعـــد معركة خليج « ليبانتو » حيث تجمعت أساطيل البنادقـــة والأســـبان وفرســـان مالطة بقيـــادة « الدون جون النمسوى » وحدثت المعركة فى ٧ اكتوبـــر ســـنة ١٥٧١ ودارت الدائرة على العثمانيين ولم يعد من الأســـطول العثمانى الضخم والذى بلغ ٢٤٠ سفينة ، لم يعد الى مياه البسفور أكثر من ٤٠ سفينة واغرق وحرق حوالى ٩٤ وأسر أكثر من مائة سفينة تركية وقعت فى يد الأعداء وخسر الترك ٣٠ الفا من الجنود وحرر الأعداء حوالى ١٥ الف من أرقاء الأوربيين كانوا فى خدمة الأسطول العثمانى (١) .

---

(١) حسين لبيب : المرجـــع السابق ص ٣٠ .

صحيح أن الدول الكبرى لا تموت نتيجة لمعركة واحدة ، كما أنه لم يكن معنى ضياع هذا العدد من السفن والجنود انهيار كامل للدولة ولكن كل ذلك أدى الى بداية النهايـــة كمـــا ادى الى تجرأ دول اوربا للتحرر من عقدة الخوف التى سيطرت عليهم من مواجهـــة الاتراك نقد كانت هـــذه المعارك تعنى انه من الممكن هزيمة العثمانيين وكان ذلك له نتائجه المستقبلية على الوجود العثمانى فى اوربا .

وتولى بعد سليم الثانى مراد الثالث فى سنة ١٥٧٤ وكان السلطان الأخير عاطل الراى ضعيف الشخصية وفى عهده بدأت أول صور الانحلال الادارى فى الدولة حيث كانت الوظائف الكبرى تباع والرشـــوة أصبحت شيئا طبيعيا وترك شئون الدولة فى يد من لا يفهم ولا يحسن الادارة . وكان هو نفســـه فريسة تأثير جماعة من النســـاء والمخطيات . وبعد مراد الثالث تولى محمد الثالث ابن مراد الثالث وكان أول ما فعله عقب ولايته العرش أن قتل ١٩ من اخوتـــه البالغين ١٠٢ وفى عهـــده اختل الجيش وفسدت الانكشارية وتدخلت النساء أكثر وأكثر . وظل الأمر يسوء خلال عهد السلاطين الثلاثة الذين تولوا بعد محمد الثالث حيث تولى أحمد الأول ابنه ولكنه مات فى سنة ١٦١٧ بعد أن تولى الســـلطة مدة ١٤ عاما لم يقـــدم فيها جديد وسار على منوال سابقيه ، ثم تولى بعده أخوه مصطفى الأول الذى خلع حيث تولى عثمان الثانى الذى حاول ابادة الانكشارية فتآمروا عليه وأعدموه قبل تحقيق غرضـــه ثم أعيد مصطفى الأول الى السلطنـــة ( حيث كان قد خـــلع منهـــا ) وما لبث وأن خلع مرة أخرى حيث تولى مراد الرابع (١) .

وعلى أنه خلال ولاية محمد الثالث بن مراد حققت تركيا العثمانيـــة نصرا ساعدها فيه الحظ أكثر من الكفاءة ، وخدمتها الظروف أكثر من أى شىء آخر تلك هى معركة ســـهل « كرزت » . ففى هـــذه المعركـــة التى وقعت عند بدايـــة عهد بن مراد ( محمد الثالث ) تقابلت جيوش النمسا وترانسلفانيا ضد جيوش العثمانيين وكادت الجيوش النمساوية تنتصر لولا أن أحـــد القادة الأتراك المدعو « سقالا » (٢) اقتحم صفوف

---

(١) محمد سهيل بيهم : المرجع السابق : انظر الملاحـــق فى آخر الكتـــاب .

(٢) « سقالا » هذا من أشراف الايطاليين . جنوة كان قد وقـــع فى أسر الترك وهو صغير وكان أبوه الذى يدعى للكونت « سقالا » قد =

الأعداء بشكل أربك صفوفهم فولت عساكر النمسا الأدبار لا تلوى على شيء فاشـــتد عزم الأتراك بعد ان كاد السلطان نفســـه ان يهرب من ميدان القتال وانتهت الحركة الخاطفة التى قام بها « سقالا » بتحويل النصر الى الأتراك . ولكن ماذا كان يفعل البرق فى الظلام الدامس ... لقد كان العهد عهد فتن وفساد احكام وحكام وفوضى وارتبـــاك وانحلال وثورات حـــكام .

ويعتبر مراد الرابـــع الذى تولى السلطة ســـنة ١٦٢٣ هو آخر السلاطين الشجعان المحاربين من آل عثمان ومع انه تولى الســـلطة وسنه اثنى عشر عاما فحكمت أمة باســـمه وفى عهده ثارت جماعة من الجنود ضده الى درجة أن طالبوه باعدام الصدر الأعظم حافظ باشـــا وذلك بعد ٩ أعوام من حكمـــه ولكن لم يلبث الســـلطان أن انتقم من جنود « السباهى » العصـــاة وكذلك جنود الانكشارية الخارجين على النظام وبدأ يستخدم سلاح الرهبة والتخويف ليضمن ثبات ملكه ولكنه غالى فى قسوته الى درجـــة أن بعض المؤرخين قالوا أنه كلما كثرت ضحاياه ازدادت شهوته لحب الدماء وقدروا عدد من قتلوا فى عهده بأمره حوالى ١٠٠ ألف شـــخص (١) الا أنه رغم استبداده فقد كان حازما فى الدارة شئون الدولة وفى عهده أحس الناس وكأن سليمان القانونى قد بعث فيهم بعثا ، صحيح أنه كان مستبدا غاشـــما ولكن الناس آثروا ظـــلم الواحد على ظلم الجماعة بل آثروا العيش فى ظل حكم القاهر على العيش فى ظلال حكم الهمجية . وبدأ مراد فى عهده استرداد « اريوان » سنة ١٦٣٥ وعاقب بعض « عمالة » فى آسيا الصغرى كما فتح بغداد ولكن ذكرى فتحها واباحتها للجنود الأتراك لم تبرح ذهن أهلها حتى الأن فقد كانت حاميتها ( كانت بغداد فى ذلك الوقت فى يد الفرس ) حوالى ثلاثين ألفا لم يسلم منها الا ثلثمائة فقط . وعقد صلح بين الترك والفرس على قاعدة معاهدة سليمان التى كانت قد أبرمت سنة ١٥٥٥ وبها ردت اريوان

---

= تزوج من امرأة من سبى الترك فسار الولد فى أثر أبيه وتزوج بتركية من حفيدات سليمان القانونى وتمكن سقالا بماله من المقدرة والمواهب والذكاء مع الحظوة عند والدة الســـلطان محمد الثالث المدعـــوة صفية ( من سبى البندقية وكانت من أسرة « بفو » الشهيرة هناك ) من التدرج فى المناصب الخطيرة فى الدولة .

انظر حسين لبيب : المرجع السابق ص ٣١ — ٣٢ .

(١) حسين لبيب : المرجـــع السابق ص ٣٢ .

الى الباريس ولكن بغداد دخلت فى حوزة العثمانين . وفى سنة ١٦٤٠ توفى مراد الرابع وهو فى الثامن والعشرين من عمره فكان ذلك نهاية عهد آخر ، سلطان عظيم حكم تركيا وفاتح شجاع قاد جنودها (١) .

ومن موت السلطان مراد الرابع الى تولى السلطان محمود الثانى زمام الأمور فى سنة ١٨٠٨ وزمام دولة الأتراك العثمانيين بأيدى جماعة من الوزراء ، حيث كان اكثر السلاطين الذين تولوا بعد مراد الرابع خاملين ضعفاء ليس فى سيرهم ما يستحق الذكر ، لاهدف لهم إلا اشباع شهواتهم وكان اشهر هذه العائلات التى افرزت مجموعة من الوزراء تولوا الصدارة العظمى فى تركيا العثمانيـــة اسرة البانية عرف رجالها بالذكاء والقـــدرة واشتهروا بالاخلاص ، واليهم بحق يعود الفضل فى وقف الاضمحلال السريع الدولة وتلك الأسرة هى اسرة « كبريلى » وكان اول أفرادها الذين تولوا منصب الصدارة هو كبريلى محمد سنة ١٩٥٦ وكان عمره وقتذاك سبعون عاما . ومن صفاته انه كان شديد البأس ، صعب المراس ، قاسى القلب مر الانتقام ، بصيرا بالأمور له فى قلوب الحكام والولادة هيبة وعلى أعمالهم رقابة ولو كانوا فى ابعد اطراف المملكة . ويقـــال أن جملة من قتلهم هو وحده بأمر الصدر الاعظم نفسه أربعه آلاف بمعدل ثلاثة فى اليوم الواحد . وكان من المشهور عن كبريلى محمد قبل ولاية الصدر الاعظم (١) أنه كان معتدلا غير ميال لسفك الدماء ولكنه وجد بمجرد ولايته أن الفوضى لا علاج لها الا الشدة . وظل فى منصب الصـــدر الأعظم مدة ٥ أعوام صاحب الأمر والنهى بل لا تبالغ اذا قلنـــا أنه كان ســـلطان غير متوج (٢) ، وخلفه فى المنصب ابنـــه كبريلى زاده أحمـــد لمدة ١٤ عاما وقد أجمـــع المؤرخون على براعته السياسية وكان بارعا فى التنظيم الادارى ولكنه لم يكن موفقا فى الحروب حيث هزم فى موقعة سانت جتثار سنة ١٦٦٤ امام جيوش المجر والنمسا . الا أنه فى عهده اســـتولى العثمانيون على جزيرة كريت . ولكن لم تلبث تركيـــا ان اصطدمت مع البولونيين وهزم الاتراك فى واقعة « خوكزم » ســـنة ١٦٧٣ ثم فى موقعـــة « لمبرج » سنة ١٦٧٥ . ولكن بضعف أسرة كبريلى وولايـــة بعض الضعفاء من

---

(١) حسين لبيب : المرجـــع السابق ص ٣٩ .

(٢) عن جهوده الضخمة أسرته يمكن الرجوع الى المصادر التالية :

— Marriott, J.A.R. Hilfory of Enrope, 1815-1936, Londcu 1937, pp. 113-128.

— Fisher, S.N. The Foreign Relations of Turkcy 1481-1512 Urbane 1943, p. 240.

اثر غيرها بدأت الامبراطورية تسير فى طريق الانحطاط وحلت الهزيمة بجيوشها فى كل مكان . وكان لسوء حظ الامبراطورية ان الامة العثمانية فى آخر القرن السابع عشر مجدبة من السلاطين المهرة والقواد العظيم . وابتداء من عهد محمد الرابع ( ١٦٤٨ ـ ١٦٧٧ ) الذى يعتبر برزخا بين عهدين عهد الفتوحات والتشريعات وعهد السلاطين الضعاف، الخاملين الاغبياء .

ويعتبر عام ١٦٨٣ هو بدء انحلال الامبراطورية العثمانية ، عندما اضطرت الجيوش التركية الى رفع الحصار عن « فينا » عاصمة الامبراطورية النمساوية ، ولم تلبث الجيوش التركية ان جلت عن « بودابست » فى عام ١٦٨٦ وتنازلت الدولة تدريجيا عن كثير من ممتلكاتها بعد أن فقدت القدرة على حماية اراضيها وفى سنة ١٦٩١ تحدث واقعة « سلانكمن » حيث تنتصر النمسا ويقتل الصدر الأعظم « كبريلى زاده مصطفى » ولما حاول السلطان الجديد الذى تولى سنة ١٦٩٥ مصطفى الثانى ايقاف انهيار الدولة واجهته النمسا واوربا بجيش قوى وحدثت موقعة « زنتا » سنة ١٦٩٧ وهى من المواقع الفاصلة فى تاريخ تركيا العثمانية ليس فقط للنتائج الحربية التى ترتبت عليها حيث قتل فيها عشرون ألفا من العثمانيين وأغرق حوالى عشرة آلاف وهم يولون الأدبار ولكن للنتائج السياسية الخطيرة التى أدت اليها . ذلك أن انجلترا توسطت فى الصلح بين النمسا وتركيا ، وقد عرضت انجلترا وساطتها فى الصلح من خلال شخص سفيرها ( كان لانجلترا سفيرا فى تركيا منذ عهد الملكة اليصابات سنة ١٥٨٣ م ) فى فيينا اللورد « باجت » ورضى السلطان العثمانى بتوسط انجلترا والذى كان من نتيجته توقيع صلح « كارلوفتس » وهو صلح عظيم الأهمية فى التاريخ التركى (١) .

ففى مدينة « كارلوفتس » احتمع مندبو تركيا وروسيا لأول مرة فى مجلس سياسى أوربى ، وفيه قبلت الدولة العثمانية مبدأ تداخل الدول المحايدة فى شؤونها ومخاصماتها مع أعدائها . وبعد ١٧ عاما هزمت تركيا فى معركة بلغراد واضطرت الى توقيع صلح جديد يسمى

---

(١) يقول المؤرخ الفرنسى « رين جروسية » وهو واحد من اكبر مؤرخى آسيا ، فى كتابه « وجه آسيا الذى صدر فى باريس عام ١٩٥٥ م » أن عملية تصفية الامبراطورية العثمانية بدأت بمعاهدة « كارلوفتس » عام ١٦٩٩ وانتهت بعام ١٩٢٠ أى خلال ٢٢٠ عاما .

صلح « بساروفتس » سنة ١٧١٨ وقد توسطت فيه انجلترا ايضا فى هذا الصلح اعترف بحق النمسا فى بقية بلاد المجر (١) .

ومن التاريخ السابق صارت السلطنة العثمانية من الدول التى لا يحسب لها فى الحرب حساب وصارت جيوشها لا تخيف الدول الأوربية واصبح لا يقام لها وزنا وذهبت هيبتها من القلوب ، وانصرفت همة قوادها وساستها لا الى تهديد جيرانها او الى الفتح والغزو وزيادة رقعتها بل الى منع تدفق النمساويين والروسيين نحو اراضيها للاستيلاء عليها .

## محاولات الاصلاح من جانب بعض السلاطين :

وبناء على ما شعر به السلاطين العثمانيون بأن الامبراطورية على شفا الهاوية ، بدات محاولات الانقاذ تظهر فيما سمى بالتجديد لشباب الامبراطورية وحقنها بالأساليب الغربية والتنظيمات الأوربية وقد بدأت محاولات الانقاذ هذه على يد السلطان سليم الثالث الذى اعتلى العرش عام ١٨٩ ( أى العام الذى قامت فيه الثورة الفرنسية الكبرى ) فدعا الاخصائيين من انجلترا وفرنسا وبروسيا والسويد وذلك لينظم أجهزة الدولة على النسق الغربى وبدأ فى تنظيم جيشه بنفس الأسلوب حتى اللباس الغربى حل محل اللباس التركى داخل الجيش العثمانى . الا ان هذا النوع من الاصلاح والتغيير أدى الى غضب جماعة العلماء ورجال الدين (٢) .

ولقد شمل النظام الجديد كل الامبراطورية ، ولكن رغم ذلك لم يؤد الى اى تأثير اذ لم تكن لدى السلطان وأتباعه الذين وافقوه ، القوة لمواجهة المعارضة التى قام بها العلماء الذين قاموا باشعال الثورة فى القسطنطينية فى عام ١٨٠٦ وحاولت الجيوش السلطانية مواجهة الثوار ولكنها فشلت ، وانتصرت الثورة واعلن شيخ الاسلام فى الآستانة خلع السلطان سليم الثالث ابن مصطفى وتولى بدلا منه السلطان مصطفى الرابع فى سنة ١٨٠٧ ، الا ان هذا السلطان الأخير قتل بعد عام واحد فقط من ولايته حيث تولى من بعده السلطان محمود الثانى بن عبد الحميد الأول .

---

(١) حسين لبيب : المرجع السابق ص ٥٠ .

(2) Lewis Geoffery : Turkey Newyork 1951 pp 13-14

وكان محمود الثانى واقعيا ـ ورغم كل الظروف التى اطالت بمن سبقه من السلاطين ـ الذى خلع والذى قتل ـ الا انه راى ضرورة التنظيمات لصالح الابقاء على الدولة ، وابى الخضوع التام للاتجاهات المحافظة والتقليدية ، وشعر أن الامبراطورية التى يحكمها قد شاخت وان الاصلاح يعنى الحياة وعدم الاصلاح يعنى الموت والفناء ؛ ومن ثم ما ان اعتلى العرش حتى بدا الاصلاح الفورى وعلى نطاق واسع ، فقام بانشاء جيش جديد وفى هذا الصدد رفض ان يطلب مساعدة انجلترا وفرنسا وذلك لأطماعهما فى أراضى الدولة (() .

---

(١) اتسمت السياسة البريطانية حتى الفترة التى تولى فيها محمود الثانى بالانتهازية تجاه الدولة العثمانية ، ومنذ أن أصبح لانجلترا سفارة فى الآستانة كان السفير الانجليزى يمثل بلاط الملك فى انجلترا بشكل صورى بينما كان فى الواقع يمثل مصالح شركة الليفانت ، وخلال القرن الثامن عشر أخذ الجانب الدبلوماسى من عمل السفير البريطانى يزداد أهمية ولم يكن الجانب السياسى من عمل السفير يزيد عن التوسط لدى الدولة العثمانية من ناحية وروسيا والنمسا من ناحية اخرى . ولكن حتى هذا الجانب من الوساطة كان لهدف مصلحى مرتبط ببريطانيا وموقفها فى أوربا . ومنذ سنة ١٦٩١ نجحت بريطانيا فى أن تسترد حقها من شركة الليفانت وذلك فى تعيين السفراء فى الآستانة وبعد ذلك باثنى عشر عاما أصبحت السفارة البريطانية فى تركيا تتبع وزارة الخارجية البريطانية تماما ( حيث كان هذا الوضع ناقصا لأن شركة الليفانت استمرت بعد سنة ١٦٩١ تصرف مرتبات السفراء ) وفى الفترة من ١٦٨٨ حتى ١٧٨٠ لم يكن لبريطانيا سياسة ذاتية واضحة المعالم تجاه الدولة العثمانية ، وكان صلح « كارلوفتس » هو الصلح الذى لعبت فيه بريطانيا دورا ، ولكن من الجدير بالذكر أن بريطانيا عندما وجدت سفيرها فى الآستانة مستر « ترمبل » Trumboll أرسلت الى سفيرها فى فيينا لورد باجت Paget للتوسط لعقد الصلح بين النمسا وتركيا . ومن الملاحظ ان الدولة العثمانية لم تكن تهم انجلترا لذاتها وانما باعتبارها تابعة للمشاكل الأوربية الأكثر أهمية من وجهة النظر الانجليزية أى ان دخول الامبراطورية العثمانية فى اطار السياسة الانجليزية كان دخولا غير مباشر ويرتبط بتزايد اهتمام انجلترا بمشاكل أوربا . وتوسطت انجلترا لعقد الصلح الآن بين النمسا والأتراك المعروف بصلح « باروفتس » . وفى كلا الوساطتين السابقتين كانت تركيا تخسر دائما . أى أنه يمكن القول أنه حتى القرن الثامن عشر كانت سياسة ـ

وكانت الدولة الأوربيـــة الوحيـــدة التى طلب منهـــا الســـلطان محمود الثـــانى مستشـــارين هى دولة بروســـيا ( يلاحظ ان النمســـا والروسيا كانتا عدوتين تقليدتين للامبراطورية العثمانيـــة وسبق شرح شرح موقف كل من انجلترا وفرنسا وعلى هذا كان السلطان محقا فى طلب المعونة الفنية والاستشارية من بروسيا اذا لم يكن هنـــاك امامه دولة اوربية يطمئن اليها سواها ) . وقد ارسلت بروسيا مستشارين واخصائيين للسلطان « محمود الثانى » وكان ذلك بمثابة وضع الحجر الأساسى للصداقة بين المانيـــا وتركيا . ومع ذلك فان هؤلاء الفنيين لم يستطيعوا القيام بالمعجزات اذ ان بقيـــة أوربا كانت تتربص بالرجـــل المريض ــ وهو الاســـم الذى أصبحت تعرف به تركيا خـــلال الحقبة الاخيرة من امبراطوريتهـــا ــ وبدأت أوربا ــ أعداء وأصـــدقاء تقتطع بالتدريج أجزاء من أراضى الدولة . وكانت الفرصـــة الوحيدة المتاحـــة لمحمود الثانى اذا أراد انقـــاذ دولته من الهاوية هو أن يستقطب والى مصر الجديد « محمد على باشا الكبير » ليتعاونا ســـويا بدلا من الدخول فى صراع لم يكن فى مصلحتهـــا بالتأكيد . الا أن محمود الثـــانى تحت ضغط الكثير من العوامل أضـــاع هذه الفرصـــة على نفسه وعلى دولته ورب قائل يقول أن السلطان كان يخشى على مكانته من محمد على خاصة وأن الأخير كانت له أطماعه وطموحاته ولكن بالتأكيد كان محمد على باشا ذكيا ويعرف الى أى حد ممـــكن تطلعاته تتحقق ومتى يقف . ولو كان السلطان محمود مثلا قام بتعيين محمد على ــ مخلصا فى ذلك التعيين ــ صدرا أعظم للدولة لربما كانت سطور التاريخ قد تغيرت .

---

= انجلترا تجاه تركيا تتحدد بعلاقات انجلترا تجيران تركيا عدائية كانت أم ودية ، أما عن بقاء الدولة العثمانيـــة أو زوالها فى حد ذاتـــه فذلك بدأ متأخرا بعد ذلك وبمعنى أدق فى القرن التاســـع عشر وكان مرتبطا أيضا بمصلحة انجلترا فى التوازن الدولى .

انظر : دكتور محمد أنيس : الخطوط الرئيسية لسياســـة انجلترا تجاه الدولة العثمانيـــة فى القرن الثامن عشر ( مستخرج من مجـــلة الجمعيـــة المصريـــة للدراســـات التاريخيـــة العدد الثامن ١٩٥٩ ص ١٩٠ ــ ١٩٢ .

وأما فرنسا فقد ظهرت نواياها العدوانية بالحملة الفرنسية على مصر والتى كانت قد جلت من سبع ســـنوات فقط قبل ولاية السلطان محمود الثانى ( جلت الحملة الفرنسية عن مصر ١٨٠١ ) .

ومع ذلك فان السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) نجح فى القيام بمجموعة من الاصلاحات ، نذكر منها انشاله مدرسة للطب ومدرسة للحربية وعددا من المدارس التجهيزية وارسل لاول مرة ١٥٠ طالبا فى بعثة علمية الى اوربا . كما انشا مصلحة للبريد ووضع اساسا لنظام جديد للشرطة ، شملت الدولة كلها ووزعت فى عهده منشورات لرشد الناس للوقاية من الامراض المعدية ، كما اصلح بعض الشىء من نظام المالية العثمانية ... وكان اعظم ما قام به محمود الثانى وخلد به هو قضاؤه على الانكشارية — وان كان للأسف أن ذلك تم قبل وفاته باثنى عشر سنة فقط — فى سنة ١٨٢٧ بعد ان استفحل خطرهم وظهر فسادهم وتلاعبوا بالكثير من السلاطين من قبله (١) .

واكن رغم هذه الاصلاحات فان « محمود الثانى » لم يستطع الفكاك من سيطرة رجال الدين ، فقد اقر الطربوش كغطاء للراس ليحل محل اغطية الراس المختلفة ورغم أن هذا الأمر قوبل من البعض بمعارضة الا أن ذلك لم يجد شيئا ٢() .

وفى سنة ١٨٣٩ ونظرا لموقف الامبراطورية العثمانية السيىء فى ميدان القتال وفى مواجهة محمد على باشا والى مصر وحاكم بلاد العرب والشام ، فان السلطان لا يتحمل أن يقال له أن جيوش ابراهيم باشا ( ابن محمد على ) قد اقتربت من الآستانة ، لذلك يموت السلطان محمود الثانى بالسكتة القلبية ويتولى بعده السلطان عبد المجيد الأول . وفى عهد عبد المجيد تبدأ حركة تنظيمات جديدة تستمر حتى سنة ١٨٦١ ثم تتصل حركة التنظيمات فى عهد السلطان عبد العزيز أخيه الذى تولى من سنة ١٨٦١ حتى ١٨٧٦ . وقد قام باعداد برنامج الاصلاح الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا ابتداء من عام ١٨٣٩ وكان سياسيا بارعا وقد عمل فترة سفيرا لبلاده فى فرنسا وبذلك تشرب بعض الأفكار الأدبية . وكانت وجهة نظر مصطفى رشيد باشا فى الاصلاح تتلخص فى تنازل السلطان عن بعض حقوقه التشريعية وانتقاله الى مجلس خاص ، ودعا رشيد باشا الى عدم معاقبة الفرد دون محاكمة واقر مساواة المسلمين بغير المسلمين أمام القانون . كما سن القوانين

---

(1) Lwis Groffery, Op. Cit. p. 16.
(2) Ibid, p. 17.

للقضاء على الرشوة والفساد والمحسوبية والواسطة التى كانت احد اسباب ضعف الادارة العثمانية (١) .

ولكن لم يكن سهلا تقبل هذه الاصلاحات ولذا قوبلت بمعارضة شديدة . وكان يتزعم هذه المعارضة طبقه العلماء والمشايخ الذين كانوا يرون انه لا داعى لتبديل الحالة الراهنة . ولكن بدات محاولات الاصلاح تجد صدى لها بين صفوف الشعب حيث نشطت حركة اهلية لتشجيع التعليم ، الا ان الأعباء المالية زادت على الدولة نتيجة للقروض ــ وكان السلطان عبد المجيد هو اول من اقترض من اوربا (٢) وكذلك بدا الشعب يضج فى عهد السلطان عبد العزيز والذى منح الشركات الأوربية الكثير من الامتيازات وكان منصرفا الى اللهو وادى ذلك الى بداية نشوء بعض الجمعيات السرية فى عهده وكان ان انضم اليها الأميران مراد وعبد الحميد (٣) . وقد ادى الأمر فى النهاية الى خلع السلطان عبد العزيز بن محمود والذى ظلت تلاحقه الدسائس فى عام خلعه حتى مات منتحرا وذلك فى سنة ١٨٧٦ (٤) .

وتولى بعد عبد العزيز مراد الخامس والذى لم يستمر الا ثلاثة شهور حيث اتهم بالجنون وبأنه مصاب فى خلل فى عقله (٥) . ومن ثم

---

(٢) ترك عبد المجيد بلاده فى حالة من الخلافات الدينية والعنصرية لم تكن عليها من قبل وقد بلغت الديون عند وفاته حوالى ١٨٠ مليون جنيه استرلينى وبالرغم من ضخامة هذا المبلغ الذى قدمته الدول الأوربية لتجديد تركيا وبعثها لم تجر محاولة اصلاحية واحدة ذات قيمة فعلية ، بل لقد وضح أن عبد المجيد استولى على أربعة أخماس هذا المبلغ وانفقه على شئونه الخاصة ويكفى ان نذكر ان جسرا واحدا حديديا استغرق بناءه فى استنامبول حوالى ٩ سنوات .

انظر : آلماوتلن : عبد الحميد ظل الله على الأرض ترجمة راسم رشدى دار النيل للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٥٠ ص ٤٣ .

(٣) كان غرض الجمعية التى انضم لها كل من مراد وعبد الحميد بصفة خاصة اقامة ملكية دستورية وتحسين حالة المسيحيين .

(٤) محمد جميل بيهم : المرجع السابق ص ١٩٥ .

(٥) قيل عن سلوك السلطان ( عبد العزيز ) انه اقتنى من النساء حوالى ٩٠٠ جارية وهو رقم لم يصل اليه احد من اسلافه .

انظر : آلماوتلن : المرجع السابق ص ٥٧ .

اعتلى العرش أخاه الأصغر وهو عبد الحميد الثانى . وابتداء من ولاية عبد الحميد الثانى تدخل الدولة العثمانية عصر الاحتضار رغم مظهريه الشـــكل الذى كانت عليـــه وقد ظل عبد الحميد الثانى فى الحـــكم منذ سنة ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٠٩ حيث تم خلعه عن العرش .

وعند بداية اعتلاء السلطان عبد الحميد الثانى العرش كانت ديون تركيا الأهلية قد بلغت نحو ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى بينما قدر الدخل القومى بمبلغ ١٩٫٤٥٨٫٥٧٠ جنية استرلينى فى عام ١٨٧٣ منها مبلغ ١٢ مليون جنيه ضرائب غير مباشرة . وقد بلغ تعداد الامبراطورية عام ١٨٦٧ بناء على احصاءات غير رسمية ٤٣ مليون نســـمة منهم ٢٥ مليون مســـلم ، ١٥ مليون مسيحى و ٣ ملتون ما بين يهودى وملل اخرى ، وكان توزيع هـ ا العدد من الناحية العنصرية : —

١٥ مليون تركى ، ٦ ملايين سلاتى ، ٤ ثلايين رومانى ، ٢٫٥ مليون ارمنى ، ٢ مليون يونانى والباقون عرب . (١)

وكانت بداية حكم عبدالحميد مغلفة بالديمقراطية حيث منح بلاده دستورا وافتتح فى بداية عهده ( يوم ١٩ مارس سنة ١٨٧٧ على وجـــه التحديد ) البرلمـــانى التركى الأول وكان ذلك الحادث الخطوة الاولى نحو الحرية فى الدولة العثمانية ، بل وفى الشرق ( وذلك باستثناء مصر التى كانت افتتحت بها أول مجلس نيابى منتخب فى الشرق كله وذلك قبل افتتاح المجلس العثمانى باحدى عشر عاما وبينما كان المجلس العثمانى فى ادور الحضانة كان المجلس المصرى يثبت أقدامة ويناقش مشكلات المجتمع بـــل وبدأت تظهر بداخلة أصوات معارضة جادة ). وكان أعضاء مجلس النواب التركى خليطا عجيبا من الرجال والأزياء فكان من بينهم رجال ارتدوا السراويل القديمة الخاصة بمقاطعاتهم وأخرون حضروا بملابسهم الجبليه المزركشة وغيرهم فى ثياب أوربية وكانت اللهجات التى أحصيت فى المجلس تزيد على الاثنى عشر (٢) .

ورغم خوف عبد الحميد من البرلمـــان الا ان الأقدار ساعدته من خلال نوعية الممثلين الذين حضورا لتمثيل بلادهم ، فلم يكن أولئك المبعوثـــون

---

(١) آلما دتلن : المرجع السابق ص ٨ .

(٢) المرجـــع الســـابق ص ٨٨ .

الأوائل يفرقون بين المهم والاهم ، فقد استغرق موضوع مثل انشاء خطوط الترام فى بغداد من وقتهم اكثر مما استغرقه بحث المسائل السياسية والاجتماعية العاجلة ولعل ذلك يعود الى انه لأول مرة منذ انشاء الامبراطورية العثمانية تجمع سكان مقاطعاتها المختلفة فى مكان واحد ، فما لبثوا بعد ذلك بوقت غير قصير ان اكتشفوا ان الامور سيئة بالنسبة اليهم جمعيا ومن ثم قدموا بعض الاحتجاجات منها ما هو متعلق بمصروفات البلاط ، الا ان اصواتهم لم تصل الى ابعد من ذلك أذ سرعان مادبت بينهم المنازعات الشخصية واخذوا يوجهون جهودهم ضد بعضهم البعض بدلا من تجمعهم للنظر فى أوضاعهم تمهيدا لاصلاح اخوالهم (٣) . وكان من الممكن لعبد الحميد احتواء المجلس تماما فى ضوء هذه النوعيات من الشخصيات، الا انه انتهز فرصة وقوع الحرب الروسيه التركية سنة ١٨٧٨ حيث اخذ البرلمان يلوم على الهزائم التى لحقت الجيوش التركية ، فقام عبد الحميد بتعطيل جلسات البرلمان والغى الدستور نهائيها وتلت ذلك مدة ثلاثون عاما من الاستبداد والطغيان لم يسبق لها مثيلا فى التاريخ العثمانى الطويل (١)

---

(١) ما فتئت روسيا طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تتحرش بتركيا وتنقم عليها موقفها عند المضايق وعلى هذا الأساس كانت روسيا تشعر أن تركيا تسد فى وجهها طريق الوصول الى مياه البحر المتوسط الدفيئة ومازالت تستعدى على تركيا الشعوب السلافية التى كانت خاضعة للسلطان وتناصرها سرا وعلانيه حتى توالت على تركيا الثورات والحروب وتعاقبت عليها الهزائم وأخذت الولايات المسيحية تنفصل عن الدولة العثمانية واحدة تلو الاخرى ، حتى تداعى البنيان وأوشك أن ينهار كله لولا بقية من حيوية الجندى التركى ولولا دبوب الخلافة بين الدول الكبرى بسبب التنافس على أملاك الدولة . ولو قدر للطامعين فى ميراث الرجل المريض أن يتفقوا فيما بينهم على توزيع ذلك الميراث وتدير مصير المضايق والقسطنطينية ما توانوا لحظة واحدة فى الاجهاز على الامبراطورية العثمانية ليتقسموا فيما بينهم أراضيها . وما حفظ تركيا خلال فترات ضعفها الشديد والفوضى التى عاشت فيها الا أن الورثة ظلوا مختلفين .

أنظر : محمد رفعت : التيارات السياسية فى حوض البحر لمتوسط لجنة البيان العربى القاهرة سبتمبر ١٩٤٩ ص ٢٤٥ .

وقد دخلت روسيا خلال نشأتها فى علاقات تجارية مع العثمانيين وكتب ايفان الثالث الى بايزيد الثانى ١٤٩٢ يقترح ايجاد صلات تجارية متينة بين الدولتين وفى سنة ١٤٩٥ أرسلت روسيا أول سفير الى الاستانة وكان أول صدام كبير بين العثمانيين والروس حول مدينة «استراخان» حيث

## بداية النهاية للامبراطورية العثمانية :

لقد بدا عبد الحميد سلسة سيئاته بالغاء الدستور الذى رتب قواعده ابو الحرية العثمانية المأســـوف عليه مدحت باشا ( ١٨٨٤ ٢٨٢٢ ) ثم

---

= حاول العثمانيين الاستيلاء عليها ولعن الروس ردوهم على اعقابهم الا أن معاهدة صلح وقعت بين البلدين فى سنة ١٥٧١ خاصة وان الروس لم يكونوا فى وضع من القوة يمكنهم من مواجهة العثمانيين . ولكن لم يلبث المناوشات أن بدأت بين الدولتين بعد فترة وجيزة الا أنه فى عهد بطرس الاكبر سنة ١٦٩٦ استولى على أزوف على ساحل البحر الاســـود وحيث كان صلح كارلوفتس قد ثبط همة الاتراك فقد عقد صلح مرة أخرى بين روســـيا والعثمانيين مدته ثلاثين عـــام ( وقع فى ســـنة ١٧٠٠ ) الا أن الروس انشغلوا بحرب السويد حتى انتصروا على ملكها ـــ شارل الثانى عشر ـــ الذى لجأ الى العثمانيين ورفض هؤلاء تسليمه الى بطرس مما دعا هذا الأخير الى شن الحرب على تركيا غير مراع معاهدة الصلح التى مدتها ثلاثون عاما غير أن بطرس وجد نفسه وقد أحاط به العثمانيون من كل جانب بجوار نهر «الروث» حيث وقع أسيرا فى يد قائد جيوش العثمانيين العدو الاعظم ، الا ان ذكاء كاترينا زوجته وحسن حيلتها وما قدمته من الاموال الطائلة للقائد العثمانى مما جعل هذا الأخير يخون سيده السلطان العثمانى هذا هو الذى جعل بطرس ينجو من الاسر وبالتالى سلمت روسيا .

وظلت معاهدات الصلح بين الدولتين متعددة ومتوالية ( سنة ١٧١١ سنة ١٧٢٠ ) ثم قامت حرب بين الدولتين سنة ١٧٢٧ لوكنها انتهت بصلح بلغراد سنة ١٧٣٦ والذى لم يكن شافيا لتحقيق المصالح الروسية ولكن قامت الحرب فى سنة ١٧٦٨ من جديد ولم تكن الدولة العثمانية مستعدة رغم صمودها وعقدت معاهد « قينارجة » بين الدولتين فى ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ وكسبت روسيا من هـــذه الحرب مكاسب عظيمة . الا أنه فى ديسمبر سنة ١٧٨٨ كانت الحرب مشتعلة من جديد بين البلدين وحاصر الروس مدينة « أوخالوف » ودخلوها عنوة واباحوها ثلاثة أيام حيث ارتكبوا ما تقشعر له الأبدان ولا عجب فلم يبق من سكان المدينة البالغ عددهم ٤٠,٠٠٠ غير ٣٠٠ من النساء والاطفال . وفى السنة التالية أمر القائد الروسى « سواروف » الذى تنسب له فظائع « أوخاكوف » بالتقدم نحو قلعة اسماعيل القائمة على دلتا نهر الطونة وكانت لا تبعد على ساحل البحر الاسود بأكثر من ٤٠ ميلا واستولى عليها الروس ليلا وذبحوا كل من فيها . ولكن عقد صلح « باش » بين البلدين فى يناير سنة ١٧٩٢ وقد حرصت روســـيا على وضع شرط هام فى المعاهدتين السابقتين وهو أن تعترف تركيا لها =

جعل مقاليد الامور جميعها فى يد جماعة من حاشية السراى ذوى الاتجاهات الرجعية ، وكان الوزراء العوبة فى يده ، وملأ بلاده بجيش من الجواسيس واملأتت السجون فى عهده من سائر ارجاء الامبراطورية . وفى عهده كثرت الفتن والثورات فواجه بالكثير من القسوة والوحشية (١) .

---

= بحق الدفاع عن مسيحى الدولة العثمانية . ليمكن اتخاذ هذا الشرط ذريعة لاعلان الحرب وتحقيق الاطماع . وفى سنة ١٨٠٦ وبدون اعلان الحرب استولت الروسيا على « الافلاق والبغدان » من املاك الدولة العثمانية . ولم تلبث انجلترا نظرا للظروف الدولية أن توسطت من خلال سفيرها « ستراتفورد كانج » فى الآستانة فعقد صلح بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨١٢ وضحت تركيا ببعض أراضيها فى هذا الصلح الذى عرف باسم معاهدة « بوخارست » ولكن رغم السلام النسبى الا أن روسيا كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية ولما فرغت منها سرعان ما نشبت حرب القرم بين البلدين سنة ١٨٥٤ ( ٢٨ مارس ) حيث كانت روسيا قد احتلت « ملدافيا ـ ولاخيا » وانضمت فى هذه الحرب فرنسا وانجلترا الى جانب تركيا . ورغم الخسارة التى تكبدها جانب حلفاء تركيا فى الحصول على النصر الا أنهم عمدوا الى عقد صلح عرف باسم معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ ورغم أن هذه المعاهدة لم تسلب الدولة جزءا من أراضيها ولكن فى نفس الوقت لم تسترد الدولة شيئا من املاكها السابقة . وظلت روسيا تحرض دويلات البلقان على الثورة ضد العثمانيين حتى كانت حتمية الحرب بين الدولتين ( روسيا وتركيا ) فى ابريل سنة ١٨٧٧ ورغم بسالة ما أبداه الأتراك فى نهاية الحرب الا أن الروس انتصروا فى النهاية عن طريق الرشوة والخيانة واضطرت تركيا الى توقيع معاهدة « سان استفانو » فى ٣ مارس ١٨٧٨ ولكن كانت شروطها قاسية بالعثمانيين فعدلت بمعاهدة جديدة هى معاهدة برلين المؤرخة فى يونيو ١٨٧٨ وكانت هذه المعاهدة مقدمة طبيعية لموافقة أوربا بتقسيم تركيا وهكذا كانت حرب ١٨٧٨ وأهميتها فى تاريخ الاتراك العثمانيين . وهكذا يتضح أيضا الى أى مدى كان الضراع مع روسيا سببا فى تقلص أملاك الدولة العثمانية .

أنظر : حسن لبيب : تاريخ المسألة الشرقية الرجع السابق ص ٦٤ ـ ٧١ .
Mller, W. : The ottoman Empire and its Successrs ( 180 - 1927 ) Cambridge 1934, p. 14 - 18

(١) الدكتور ارنست أ. رامزور : تركية الفتاة وثورة سنة ١٩٠٨ ترجمة الدكتوو صالح أحمد العلى ( قدم له وراجعه الدكتور نقولا زيادة ) دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٠ ص ١١ .

وعلى أى حال فان صورة عبد الحميد فى الخارج سرعان ما تشوهت اكثر الا درجة انه فى سنة ١٨٩٧ كتب ريتشارد ديفى « فى كتابه » « السلطان ورعاياه » .

« قبل حوالى سنة كان السلطان عبد الحميد يبدو كأنه يناضل باخلاص ضد محن قاسية وأنه يعمل خير ما يمكن لشعبه غير ان الأحداث الأخيرة تتطلب تغيير الرأى لأن الخير الذى عمنه غرق فى لجة دماء عدد لا يحصى من القتلى من الرجال والنساء والاطفال ، وفى الضوء المكفهر لهذه المناظر المرعبة صار له شكل العنكبوت الكرية وقد وقع فى اسار شبكة حريرية لجريمة الخاص وحكم عليه بأن يتقمص أخبث ما فى اسلافه ، الذين تستثير اسماؤهم ذكريات مرعبة من السفك والنهب والسلب » .

لقد وصف عبد الحميد بأنه رجل ذو مهارة رائعة فى ضرب القوى المتعارضة الداخلية والخارجية ببعضها البعض وقد كتب الكثير عن مهارته مثلا فى تجميد خطط الدول الأوربية بالقيام بالمكائد ، فيما تقف كل دولةبوجه الاخرى . غير أن هذه النظرة الى السلطان هى من نسيج الخيال شأن الاساطير التى لا عداد لها والتى انتشرت عن حياته الخاصة . فالواقع أن المصالح المتعارضة للدول الاوربية كانت قائمة موجودة ، ولم تكن بريطانيا فى حاجة الى أن يستثيرها عبد الحميد بوجه المطامع الروسية فى المضايق. كما أن عبد الحميد نفسه كان مجموعة من المتناقضات لدرجة أنه لم يثبت قط على أية سياسة معينة فقد كان مثلا أشد ميلا الى اتباع مقترحات منجمه الخاص المعروف باسم « أبو الهدى »(٤) . من تنفيذ قراراته الخاصة (٢) .

---

(1) Davey, Richard, The Sultan and his subjects, Newyork 1897 Vol. 1. p. 197

(٢) الدكتور ارنست أ. رامزور : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٤) كان أبو الهدى الصيادى فقير المال والحسب من أهل حلب ودفعته المقادير الى الآستانة غير أنه كان ماهرا ذكيا وسيم المحيا ماضى العزيمة قادرا على معرفة نفوس الناس ومن أين تؤتى فتغلب على عقل السلطان عبد الحميد وربط نسبه بأعلى نسب عربى وصار له اتباع يأتونه بكل الأخبار ويستغلها أمهر استغلال ولم يلبث أن صار بنفوذه ونشاطه مستشار عبد الحميد الخاص وصارت له مكانة خاصة لديه .

أنظر : الدكتور ابراهيم أحمد العدوى : قادة التحرير العربى فى العصر الحديث الدار القومية القاهرة ط ٢ سنة ١٩٦٤ ص ١٢٤ .

ويذكر العالم المجرى « ارمينيوس فامبير » الذى عرف عبد الحميد كأحسن ما عرفه أوربى عن السلطان عبد الحميد الصورة التالية :

« لم اصادف قط كالسلطان عبد الحميد . رجلا لصفات خلقه المبارزة مثل هذا التناقض والتصرف والاختلال . فالخير والشر ، والسخاء والدناءة والجبن والشجاعة والدهاء والجهل والاعتدال والتصرف ، وعدد كثير جدا من الصفات المتناقضة نجدها فى اعماله واقواله . واذا كانت لاخلاقه صفة سائدة فهى جبنه وتقلبه المستمر والخوف من الخطأ فى السير ، الامور التى تركت لطخة ثابته طبعت كأنه اعماله . وهذه الصفات السيئة وهى الاثر القتال لتربية الحريم ادت الى تجمد أحسن نواياه . والى تبليد تقابلياته الفكرية التى لولا هذا لكانت رائعة والتى جعلت حكمة طالعا سيئا لبلاده»(١)

**وتقول آلمـــا فى كتابها عن « عبد الحميد ظل الله على الارض » :**

«لقد لطخت عاطفة الحب حياة الكثيرين من أصحاب الشخصيات البارزة فى التاريخ ، الا أن حياة عبد الحميد اتلفتها عاطفة مضادة لعاطفة الحب .. لقد كان البغض ، قدرته على أن يبغض واستعداده لأن يبغض؛ هى الاشياء التى أصلت خطواته وحولت عينيه عن غاياته واظلمت افهامه وتواصل « آلمـــا وتلن » قولها :

« كان يكره الرجال أفرادا ، وقبل كل شىء آخر ؛ كان يكره آراء الغرب برمتها ــ المسيحية ــ أوربا . وبنفس تلك المرارة كان يكره القتله المجهولين الذين كان يشعر دوما بأنه مهدد بهم . كان دائم الحر ضـد الخيالات المشئومة التى كانت تطارده فى أشكال مختلفة منذ طفولته»(٢).

**حتميـــة الثورة :**

فى ظل الحكم المطلق والفردية المتسمة بالانانيـــة . وحيث تكون الانتهازية أسلوبا للحكم وسياسة التفرقة بين رعايا الدولة الواحدة ، وحيث يصبح السلطان مشغولا بالتفافه من الامور كان حتميا أن ينعكس ذلك كله على كافة مؤسسات الدولة والنتيجة الطبيعية للحكم الديكتاتورى

---

(3) « Personal Recollection of Abdul Hamid and his Court » Ninteenth Century, LXVI ( july 1909 ) p. 69.

(١) آلماوتلن : المرجـــع السابق ص ١٢٠ .

وابعاد الشعب عن المشاركة فى الحكم ان تتعرض الدولة للسقوط عند اى اهتزاز يصيبها من الخارج .

وهذا هو ما حدث بالنسبة للدولة العثمانية فى نهاية عهد عبد الحميد واندلعت الثورة ضـــده فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٨ من مقدونيا . حيث قادتهـــا جمـــاعة تركيـــا الفتـــاة والتى آمنت بشـــعار الحرية والاخاء والمساواة . ولم تكن هذه الثورة من تدبير اوربا كانت من عمل جماعة من شعبه الخاص ، ثاروا عليه لمجموعة من الاسباب يأتى فى مقدمتها الغاء الدستور والقضاء على الحياة النيابية واستشراء الفساد فى الدولة والحكم الفردى وضياع مصالح الشعب وفى آخر هذه الاسباب يأتى سبب رئيسى وهو انسياع السلطان لاوربا أكثر مما يجب . وكان سبب الثورة المباشرة هو قبول السلطان للطلب الروس ــ الانجليزى بوجوب تعيين أوربيين على عبـــارة « أرض الوطن » ممنوعة بتاتا ، الا أن فكرة الوطنية التركية رأس المحاكم المقدونية بيد أن الضابط الاتراك فى مقدونيا لم يكونوا على استعداد للسكوت على زيادة النفوذ الاوربى واعتبروا وجود الضباط والموظفين الاوربيين اذلالا لهم ... وكانت صيحـــة الثورة « تركيـــا للاتراك » ولاول مرة منذ تأسيس الامبراطورية العثمانية يجد الشعور التركى القومى أعدنا عنه ، اذا كانت الروح سائدة حتى ذلك الوقت روح الاسلام وكانت عبارة «أرض الوطن» ممنوعة بتاتا ، الا أن فكرة الوطنية التركية تبلورت فى يوليو سنة ١٩٠٨ وأثبتت روح العصر أنها أقوى من تقاليد أو ارادة رجل فرد(١) . وتحت ضغط الظروف قبل عبد الحميد الدستور فى ٢٤ يوليو من نفس العام ، بل فوق ذلك أعلن استعداده لرئاسة جمعية الاتحاد والترقى ولمـــا قيل أن الاعضاء كلهم متساوين قبل العضـــوية العادية وتبرى بنصف مليون جنيه عن جيبه الخاص لصندوق الجمعية وأعلن استعداده للاستجابة لكل المطالب الشعبية . وافتتح البرلمـــان الجديد فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٨ ولكن كان مجرد تمثيلية ولم تلبث الثورة المضادة أن قامت فى ١٣ أبريل سنة ١٩٠٩ وفر الضباط الاحرار خارج تركيا(٢) ، وتكونت بعد قليل هيئة جديدة فى العاصمة تحمل اسم «الجمعية الاسلامية» الحقيقى مقاومة ثورة تركيا الفتاة . ولقد ثبت اشتراك عبد الحميد فى الانقلاب الثانى وهكذا زحفت حامية مقدنيا الى القسطنطينية بقيادة الكرلونيل شوكت وفى يوم ٢٣ أبريل أمر شوكت بدعوة المجلس الوطنى فى «سان استيفانو»

---

(١) المرجـــع السابق ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

(٢) محمد عطيه على : هـــلال أنقرة العثمانى ( الغازى مصطفى كمال باشا قائد الشرق العظيم ) القاهرة ١٩٢٣ ص ١٩ .

حيث عسكر جيشه وذلك لتقرير مصير السلطان اما خلعه عن العرش او اعدامه ودخل شوكت المدينة ( الاستانة فى ٢٤ ابريل بعد ان استسلمت حاميتها بسهولة . وهكذا استعادت جمعية الاتحاد والترقى السيطرة على الامبراطورية التركية بأسرها . وفى النهاية تم عزل عبد الحميد(١) . وبدأ أفول الامبراطورية العثمانية الى الابد حيث أصبح السلطان الخليفة لا حول ولا قوة ولكنه مجرد رسم على رئاسه الدولة التركية .

واذا كان عصر السلطان عبد الحميد عصرا قائما بذاته ( اذ استمر حكمه ٣٢ عاما ، ٧ أشهر ، ٢٣ يوما ، ٤٥ دقيقة ) الا أن من تولى بعده فقدوا كل وجودهم(٢) . وعلى هذا يمكن أن يقال أنه بانتهاء عهد السلطان عبد الحميد الثانى انتهت الامبراطورية العثمانية وخلافه وهمينة آل عثمان.

وقد تولى بعد عبد الحميد ثلاثة سلاطين هم محمد الخامس والذى ظل على عرش السلطة حتا انقلاب مصطفى كمال فى ما بعد سنة ١٨١٨ ثم تولى السلطة(٣) . ومنذ سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٢ كان هناك عبد المجيد محمد السادس فى سنة ١٩١٨ وأقالة مصطفى كمال حيث ألغى منصب وهو آخر السلاطين العثمانيين الا أنه لم تكن له الا سلطات دينية فقط وحتى هذه لم يلبث أن فقدها بعد الغاء الخلافة وطرده من تركيا فى سنة ١٩٢٤ .

## أسباب سقوط واضمحلال الامبراطورية العثمانية :

يجد الباحث صعوبة فى تحليل العوامل التى أدت الى انحطاط وسقوط الدولة العثمانية وتدهورها ولعل ذلك يعود الى كثرة وتعدد هذه الاسباب ما بين داخلية وخارجية واعتماعية وعمرانية وسياسية ودينية وجغرافية واقتصادية وهذه الاسباب متداخلة لا ينفرد احدها باضعاف قسم معين

---

(١) د. آلماوتلن : المرجع السابق ص ١٩٦ — ١٩٧ .

(٢) ثورة سنة ١٩٠٨ تركت عبد الحميد على عرشه ولكنه ساعد على قيام حركة ٣١ مارس سنة ١٩٠٩ الرجعية التى رمت الى القضاء على الدستور ثانية ولكن فى النهاية انتهى الأمر بخلع السلطان الذى حاول الاختفاء فى غرفة من غرف الحريم ولكن بلغ نبأ عزله .

3 — Mousharrfa. M. M., Ataturk ( Abiography ) Cairo

أنظر : د. ارنست أ. رامزور : المرجع السابق ص ١٦ .

جريدة اللواء المصرية ٦ مايو ١٩٠٩ .

كتأثير السبب الآخر نوعا وكيفية وكما ومن الملاحظ ان من اسباب الضعف ما كان طبيعيا كدوره حياتية للدول فى ميلادها وشبابها وشيخوختها فتلك دوره لابد منها ولا توجد امبراطورية عاشت الى الابد شابة قوية ولكن لا ننكر ان الكثير من الدول حافظت على فترة شبابها الى حين والبعض الآخر بدد شبابه سريعا . كما يلاحظ أن بعض اسباب هذا الضعف قد سببه العثمانيون لأنفسهم .

وخلال انحطاط تاريخ الدولة العثمانية توجد ثلاثة ملاحظات هامة نذكرها فيما يلى :

**الملاحظة الأولى :**

أن جسم الدولة قد قوى على حمل جميع الامراض التى انتابتـــه من حروب وثورات وعبث حكام واختلال أحكام وتضافر أعداء وتراخى وغدر أصـــدقاء .

**الملاحظة الثانية :**

ان ان الانحطاط كان مستمرا منظما بعد عهد ســـليمان القـــانونى حتى نهاية عصر السلطنة ولا عبرة بتلك الفترات القصيرة التى كانت تنعش فيها وتظهر بعض أمجادها العسكرية القديمة .

**الملاحظـــة الثالثة :**

كانت الدولة تبدو أمام الانظـــار قوية شامخة فى الظاهر ــ عقب موت سليمان القانونى ــ مع أن عوامل الضعف وأمراض الفناء كانت تنخر فيها من الداخل فكان مثلها فى ذلك مثل سليمان الحكيم الذى ظل بعد موته جالسا على عرشه متكئا على عصـــاه وعليه ملابس العز والدولة وشارات الحكم والصولة والوحوش والطيور والجن والانس تتطلع اليه وقد ملأتها المهابة وأخذتها الروعة وهى تحسبه حيا قويا ينشر الخوف والفزع فيمن حوله حتى اذا أكلت الأرضه عصاه التى كان يتكأ عليها وقعت جثته على الارض وعلم الجميع أنه فنى وباد وكان من الهالكين بينما كانوا قبل أن تسقط عصاه يحسبونه حيا قويا فى حين أنه كان ميتا فى صورة حى وفانيا فى شكل قوى ... ذلك تماما كان حال الامبراطورية العثمانية بعد عصر سليمان القانونى .

وفيما يلى نبذة سريعة عن أهم العوامل التى أدت الى اضمحلال الامبراطورية العثمانية .

## العوامل الداخليـــة :

### ١ ــ اختلاف الأديان والأجناس داخل الامبراطورية :

فقد دل التاريخ ان حكم الاجناس المختلفة والقوميات التبانية والملل العديدة وحفظ النفوذ بينها يحتاجان الى نشـــاط وحكمة يفوقان مثلهما فى ادارة شؤون الدول الاخرى المؤلفة غالبا من عنصر واحد ودين واحد . وفى ظل القوة التى كان يتمتع بها ســـلاطين الدولة كانت رعايا الدولة متعددى الأجناس الملل يخضعون ولا يثورون . ولاشـــك أن من حسن حظ كافة الأجناس والملل التى خضعت لحكم العثمانيين أن تركيا العثمانية أتبعت معهم سياسة التسامح فلم تجبر رعاياها المسيحيين على الدخول فى الاسلام بل أكتفت منهم بدفع الجزية واستثمار الارض لهم . ورغم كل ما قيل عن الاضرار التى لحقت مصالح الدولة العثمانية نتيجة لاتباعها سياسة التسامح هذه وعدم تذويب القوميات المحكومة فى داخل القومية التركية ورغم أن نابليون عاب على العثمانيين تركهم جماعات عظيمة من المسيحيين فى أماكنهم وأنه تنبأ بذلك التحلل الذى سيلحق الدولة ... رغم كل ذلك الا أنه لو بقيت الدولة على عهدها من القوة والسلاطين الاكفاء لمـــا كان هذا الاختلاف له خطره ... الا أن طبيعة العصر الذى عاشت فيه الامبراطورية العثمانية والذى اتســـم بظهور القوميات ... هذا هو السبب الذى جعل العامل السابق عامـــل اضمحلال وضعف للدولة .

### ٢ ــ شـــكل الحكومة :

كان الحكم الاستبدادى طابع النظام العثمانى واستبداد من النوع الغاشم ... حكما مطلقا ، وكان السلطان لا يطيق ســـماع المعارضة ، فهو وحده السلطة التنفيذية والتشريعية والقضـــائية ... وكانت خزانة الدولة بمثابة جيبـــه الخـــاص وقد ظهر كل ذلك بوضـــوح عند ضعف السلاحين ... فالسلطان القوى كان فى أغلب الأحوال مستبدا عادلا وقد أدى الاستبداد الى أن السلاطين أسرفوا على ملذاتهم النفقات الطائلة ، مما أدى الى عجز فى ايرادات الدولة واضطرارها فى الآونة الأخيرة من حياتها الى الاستدانة كما انهم كانوا يسندون وظائف الدولة المهمة الى رجال أحسنوا صناعة للتملق والماهنة لأشخاص الســـلاطين أو كانوا مقربين من محاظيكم ونسائهم . وكثيرا ما رضخ السلاطين لآراء نسائهم ، بل ان اعظم سلاطين الدولة العثمانيـــة السلطان سليمان القانونى قتل

ولديه مصطفى وبايزيد ارضاء لاحدى نسائه حيث آل الملك الى ولدها سليم فكان فاتحة شقاء للعثمانيين (١) . كما ان السلاطين لم يلبثوا ان ركنوا الى الدعة والكسل وحياة الترف وتركوا قيـــادة جيوشهم لعمالهم وهؤلاء كثيرا ما خانوا الدولة وارتشوا فى ميادين القتال .

ورغم أن الانصـــاف يقتضى منا القول ان اسرة عثمان لم تنفرد فى تاريخ العالم بالاستبداد الا أنهم كانوا أكثر استبداد وأكثر قســـوة على شـــعوبهم من الآخرين .

### ٣ ــ اهمال المرافق الاقتصادية :

أهمل العثمانيون كافة مرافق البلدان التى حكموها ولم تكن هنـــاك اية مشروعات ضخمة فى أنحاء الامبراطورية بل ان بلدان العالم العثمانى كانت تتمتع بخصـــوبة وبتربة قادرة على العطاء ولكن اجدبت الكثير من هذه البلدان ولعل المثل الحى لذلك العراق فى ظل الحكم العثمانى وهو مشهور بانه أعظم الاقاليم خصوبة ففى الكم العثمانى تبددت سكانة وبارت أراضيه وغير ذلك فان الحكومة العثمانية أهملت زراعة الأراضى الخصبة بطبيعتها وكذلك اهمال بقية المرافق الاقتصـــادية مثل الصناعة والتجارة وفســـدت طرق المواصلات وافتقد الناس الامن لممارســـة اى نشـــاط اقتصـــادى .

### ٤ ــ التأخـــر العـــلمى :

كان من طبيعة الاستبداد والمستبدين ــ ولازال ــ عدم نشر التعليم وحذرت دراسة العلوم الفلسفية والاجتماعية ورغم تحمل الأهالى مسئولية التعليم فى كثير من البلدان الا أن الرقابة التى كان يفرضها كل ســـلطان وبالذات فى المرحلة الاخيرة من حياة الدولة أضعفت حركة التعليم .

### ٥ ــ ضعف الجيش والاســـطول .

لقد كانت الدولة العثمانية أول دولة عرفها التاريخ الحديث أقامت جيشا عظيما كونت من خلاله دولة عظمى وما لبثت الانكشارية بعد أن كانت مثلا فى الطاعة والقوة والشجاعة والبسالة ان انقلبت للتدخل فى الشئون

---

(١) حسين لبيب : المرجع السابق ص ١٢ .

السياسية وصاروا يعزلون السلطان ويولون غيره حسب أهواءهم واخيرا نجح محمود الثانى سنة ١٨٢٦ باستئصال شأفتهم ولكن بعد ان تسببوا فى ضعف الدولة . ورغم ان تركيا قامت ببناء جيش حديث لها على النسق الاوربى واستعانت فى ذلك بالخبرة الالمانية . الا ان ذلك لم يفد فى انقاذ الدولة اما الاسطول فقد توقف نموه من حيث نوعية السفن المقاتلة وكانت الدولة فى امس الحاجة لاسطول قوى نظرا لكثرة ما يحكط بها من مياة وحاولت الدولة تطوير اسطولها ولكن جاء ذلك متأخرا تماما .

العوامل الخمسة السابقة باختصار هى أهم الأسباب الداخلية التى أدت الى اضمحلال الدولة أما عن العوامل الخارجية فيمكن تركيزها فى العداء التقليدى بين النمسا والروسيا ومساندة أوربا لهما فى صراعهما ضد العثمانيين خاصة وأن الروح الصليبية كانت مسيطرة على آماق أى صراع بين الدولة العثمانية واحدى الدول الأوربية . كما أن كثرة الثورات التى تعرضت لها الدولة وبالذات من الدول الخاضعة لها فى البلقان سببت تصدع أركان الدولة .

أن الامبراطورية العثمانية لم تتمتع بالوحدة فى يوم من الأيام ، بل كانت تضم شعوبا وأجناسا تتكلم بألسنة مختلفة وكان على رأس كل مقاطعة حاكم له سلطة لا حدود لها (١) ، واذا كان السبب الرئيسى فى

---

(١) فمثلا بالنسبة للعالم العربى كانت الدولة العثمانية تقسم ممتلكاتها الى ولايات والولايات الى ألوية والالوية الى أقضية والاقضية الى نواحى وكان على رأس الادارة فى كل لواء متصرف وفى كل قضاء قائمقلم وفى كل ناحية مدير ناحية .

أنظر : ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٠ ص ٢٤٥ وكانت البلدان العربية فى ظل هذا التنظيم مقسمة الى ٩ ولايات واربع متصرفيات مستقلة غير تابعة لولاية من الولايات بل تتبع الحكومة العثمانية مباشرة ، وكانت هناك ايالتين ممتازتين : —

أما الولايات التسع فكانت ولاية الحجاز وولاية اليمن وولاية البصرة وولاية بغداد وولاية الموصل وولاية حلب وولاية بيروت وولاية طرابلس الغرب وولاية سوريا .

أما المتصرفات الاربعة فقد كانت متصرفية « القدس الشريف » ومتصرفية « بنغازى » ومتصرفية جبل لبنان .

أما كلا من مصر وتونس فكانت كل منها تمثل ايالة ممتازة =

المحافظة على بقاء الامبراطورية هو قوة جيشها واسطولها فانه كان منتظر أن يدب فيها الانحلال بمجرد أن تفقد مقومات صلاحية هـذا الجيش والأسطول لاداء مهمتها . ولكن لا يجب أن يتبادر الى الذهن ان ذكر العوامل السابقة التى ادت الى انهيار الدولة كان يعنى عدمها تماما ... ذلك غير معقول . نذكر من ذلك أنه كان ولاشك يوجد تعليم داخل الدولة وقد أمر مثلا عبد الحميد الثانى بالاكثار من بناء المدارس والمراكز الثقافية المتعلقة بصناعة صيد الأسماك والغابات وتربية دودة القز وانشأ مدرسة للطب واستدعى العالم الشهير « البروفيسور » « فون ديرنج » لمحاربة الأوبئة التى كانت تفتك بواحد من كل أربعة من جنود الأتراك كل عام . كما وضع نظاما لشبكة جديدة لمياه الشرب فى العاصمة وأمر بانشاء غرفة للتجارة واقامة مصنعين أحدهما للأسمنت والآخر للنسيج ومنح عدة امتيازات لبناء خطوط السكك الحديدية وأتم انشاء الخط الحديدى الأول الذى يصل تركيا بأوربا وفى عام ١٨٩٢ تم انشاء الخط الحديدى بين القسطنطينية والأناضول (١) .

ولقد كان لانتشار الفساد السياسى والاجتماعى داخل الدولة العثمانية فى الوقت الذى استيقظت حول حدودها ونمت دول كبرى بدأت تطمع فى أراضيها الى جانب ضعف شخصية من تولوا سلطنها ثم ضعف أساليبها الدبلوماسية فى المحيط الدولى كل ذلك ولاشك عجل بانهيارها . وعندما زار السير « توماس رو » المستشرق الانجليزى تركيا عام ١٦٢٧ وجد من الأسباب ما جعله يتنبأ بأن « الله يمكنه أن يصنع كل شىء ولكن هذه المملكة مشرفة على نهايتها » (٢) .

ومع ذلك لم يكن تاريخ الدولة العثمانية سيئا على الاطلاق ... فكما سبق وأن قلنا أن الدولة لم تمس حرية الأديان ، كما أن صفة الحكم المطلق كانت سمة العصر والمؤرخ المنصف فى حكمه على الأفراد والجماعات يجب أن يراعى روح عصرهم وظروفهم والافان من يجعل ظروف اليوم

---

= وكانت متصرفية القدس مثلا تضم أربعة أقضية هى يافا وغزة وبئر سبع وخليل الرحمن .

انظر : دكتور محمد كمال الدسوقى : السياسة الدولية وفلسطين دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٦ ص ١٦١ .

(١) آلماوتلن : المرجع السابق ص ١١٤ — ١١٦ .

(٢) د. آلماوتلن : المرجع السابق ص ٦ .

مقياسا لغيرها يكون بعيدا عن الانصاف وكيف يكون منصفا من يقارن بين وضعين بينهما مئات السنين ناهيك بالاختلاف فى الافكار والتقاليد .

واذا ما حاولنا أن نقيس ما فتحه العثمانيون فى فتوحاتهم بما فعله الأوربيين عندما حانت لهم هزائم العثمانيون لوجدنا — مهما قيل — ان العثمانيين كانوا أكثر تحضرا ومراعاة لقانون السماء من اوربا المادية ، نضرب لذلك مثلا بما فعله الكونت كينسى ميخائيل أمير الأفلاق لما اخذ حصن « تركو فيتز » ثم هناك فظائع الروس فى القرم وفى البلقان . ويكفى أن نقول أنه عقب حروب البلقان بين تركيا وروسيا تكونت لجنة اوربية لتفقد الأوضاع فى البلقان وقامت اللجنة بعملها بنشاط تام وحياد غير مبتور وعندما عرض تقرير اللجنة اصيبت أوربا بهزة عنيفة عند سماعها ما جاء به من أنباء وقد أجمل اللورد « سالزبورى » نتائج تحقيق اللجنة بقوله : (١) .

« أنه منذ أيام القوط والهون والفاندال لم يقع فى العالم المسيحى مثل تلك الفظائع التى ارتكبتها الجيوش الروسية » .

لقد كانت ادانة أوربا لروسيا الدولة المسيحية تقلل كثيرا من اتهام تركيا المنطوى على الافراط والمبالغة ولم تعد تركيا تعتبر الدولة الوحيدة التى تنساق فى أعمال العنف والعدوان .

بقى أن نقول بالنسبة لانحلال الامبراطورية أن الضغط المستمر الذى كانت تمارسه الدول الأوربية لكى تجبر السلاطين على القيام ببعض الاصلاحات — دون اقتناع من هؤلاء السلاطين ودون استعداد من الشعب فى ذات الوقت لتقبل هذه الاصلاحات — جعل التحديث كأنه مفروض ولذلك قبل فى الشكل ولكنه مرفوضا فى الواقع .

والواقع أن الشعوب الأوربية التى كانت سكرى بروح التقدم فى القرن الـ ١٩ كانت تطلب من تركيا أكثر كثيرا مما انجزته هى ذاتها ، فان التطور التدريجى فى أوربا من عصر البداوة الى عصر المركزية شمل قرونا عديدة الا أن تركيا التى ظلت مكانها منذ العصور الوسطى أصبح مطلوبا منهم حينئذ اتمام النتائج النهائية لهذا التطور بضربة واحدة . لقد كان اكثر الساسة الأوربيين ما زالوا واقعين تحت تأثير الفلسفة القرن الثامن عشر

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

التحريرية وتعقل القرن الـ ١٩ ، وهذه النظرة المزدوجة نحو الاشياء كانت تتلف الى حد كبير قدرتهم على التفكير الصائب والحكم الصحيح المبنى على الحقائق المجردة .

ولكن من وجهة نظرنا ان اهم عوامل سقوط الدولة العثمانيـــة هو ما يمكن أن نسميه عامل التخلف الحضارى والجمود الفكرى الذى سيطر على الدولة العثمانية ولم تكن هناك بارقة امل للخروج من قضبان اليأس وديباجير الظلام وتحريك السكون الذى تسبب فى كبت الشـــعور النفسى وبروز الاستياء الشعبى . فمما لاشـــك فيه ان جمود الفكر العثمانى وكبت اتجاهات الراى العام وانعدام الديمقراطية وضعف التطورات الثقافية أدى الى انتشار الكثير من الجمعيات السرية التى وقفت تحارب الدولة وتعيث فيهـــا فسادا .

صحيح انه ظهرت مجموعة من التجار الاثرياء غير المسلمين حاولت أن تقوم باستيراد الشكل الحضارى من أوربا الى درجة أن هذه الطبقة أنشأت مدينة اسطنبول الجديدة بمفاهيمها .. محلات وبقالات يونانية ، الأزياء فرنسية ، الخامات المانية ، الموسيقى ايطالية واســبانية ، والخدم تركية . وهذه الطبقة ولا شك حاولت الخروج بالأصالة العثمانية الـــى المعاهدة الأوربية دون استعداد من الشعوب العثمانية لتقبل هذا التطور مما أدى الى عكس المطلوب وحدث نوع الشيزوفرانيا للشخصية العثمانية . حيث انقسم المجتمع العثمانى قسمين قسم يمثل الاقلية يحاول الاصلاح ولكن ليس للصالح العام على طول الخط وقسم يمثل الاغلبية كان يشعر ان التغيير لن يأتى له بجديد ان لم يضر مصالحه وكان على رأس قســم الأغلبية جماعة المشايخ والعلماء ورجال الدين .

وفيما يتعلق بالاسس العلمية والفنية الخاصة بالتطور الحـ
فانها لا يمكن أن تنتقل فى صورة مجردة بل تتخذ مـــن الاوعيـــة والازياء والاصباغ والالوان مما يجعلها شديدة اللصوق بالشخ
للأمة التى تنقلها ولكن الشعوب العثمانية لم تكن تملك الا
النقلة الحضاريـــة الفجائيـــة بعد الكثير من الركود الحض
الثقافية (١) .

---

(١) دكتور عون الشريف قاسم : الاسلام والثور
الدوحة القطرية عدد يوليو ١٩٧٨ ص ٢٤ .

# مكتبة التاريخ العثماني

# الفصل الثانى

## الامبراطورية العثمانية وحماية الدين الاسلامى

## الامبراطورية العثمانيـــة وحماية الدين الاسلامى

يؤكد المؤرخون اســـلام عثمان وعشيرته وانه تحمس للاســـلام واعتبر هو وقومه قتالهم وفتوحـــاتهم جهـــادا فى ســـبيل الله (١) . وقد ترتب على اعتناقهم الاســـلام ان تسربت الى لغتهم التركية الكثير من التعبيرات العربيـــة . ويـــذكر « كارل بروكلمان » ان عثمـــان تزوج « مال خاتون » وهى ابنه رئيس المشايخ المسلمين المدعو « اده بالى » وان عثمان تســـلم من حمية منطقة الجهـــاد والسيف بوصفه غازيا يجاهد فى سبيل الله لنشر كلمة التوحيد (٢) ويؤكد الكثير من المؤرخين ان نصر آل عثمـــان لم يكن من الممكن تحقيقه لولا عظمـــة الاســـلام والدعوة الى الجهـــاد (٣) . وتكونت فى كل أنحـــاء الأناضول جمعيات الاخوة الاسلامية تدعو للجهاد فى سبيل الله وتتعاون من اجل اعداد المجاهدين لاعلاء كلمة الحق والدين . واصبح الأتراك العثمانيون اكبر متعصبين للدين الاســـلامى نصبوا أنفسهم للدفاع عنه (٤) .

ولما نشأت دولة آل عثمان كان الترك على وجه الاجمـــال قريبى العهد من اعتناقهم الاســـلام وبينما كانت الجذوة الدينية تخمد فى نفوس العرب وغيرهم من عناصر الاســـلام بتأثير الرخاء الحضـــارى ، كانت تلك الشعلة تضطرم فى أفئدة الأتراك وتدفعهم الى تنـــاول دور العرب

---

(١) بدأ الاســـلام بين القبائل التركية بأواســـط آســـيا على يدى الفاتح العربى « قتيبة بن مســـلم » فى أواخر القرن الأول الهجرى . واخذ نفر من الترك يلتحقون ببلاط الخلفـــاء العباسيين وكان منهم جند المعتصم العباسى . وكان منهم عمالا للخلفاء العباسيين على بعض ولايات الدولة كالطولونيين والاخشـــيديين فى مصر ، الا أن الاســـلام الجماعى للترك لم يبدأ بصـــورة واضحة الا ايـــام السامانيين الفرس الذين كانوا يحكمون بلاد ما وراء النهى وخراسان .

انظر : دكتور أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق ص ٢٤٣

Alderson, S D.: The Stsueture of The ottomaok Dynasty, Oxf rd 1953 P. 18

(٢) كارل بروكلمان : تاريـــخ الشـــعوب الاســـلامية ترجمـــة نبيه امين فارس — دار العلم للملايين — بيروت ط ٥ ســـنة ١٩٦٨ ص ٥٢١ .

(3) Stavianos, L.S, The Balkans since 1453, New york 175 P 36.

(4) Cahun, L.: l'Inst. à l'histoire de l'Asie P. 119. Paris 1898

فى صـــدر الاســـلام للجهاد والغزو والفتح ... اى للمبادرة الى تمثيله على مسرح السياســـة العالميـــة

وقد ظلت الشريعـــة الاســـلامية هى المصـــدر القانونى الاول فى انحاء الامبراطورية وكان لرجالها تأثير كبير على الســـلاطين واصبح كل شىء فى الامبراطوريـــة بالنســـبة للأمور الدينيـــة والتعليم والقضـــاء خاضعا لنفوذ المفتى أو شيخ الاســـلام كمـــا كان يلقب . وكان يعتبر بمثابة نائب السلطان المطلق فى الأمور المدنيـــة بأكملها وله مقام ســـام يفوق مقام رئيس الوزراء ( الصـــدر الاعظم فى ذلك الحين ) فاذا قدم لمجلس الســـلطان يخف السلطان لاستقباله ويتقدم ســـبع خطـــوات ، على حين أن الســـلطان لا يقوم لاســـتقبال الصـــدر الاعظم الا ثلاث خطوات ، وفضـــلا عن ذلك فان المفتى كان يســـمح له أن يقبـــل كتف السلطان بينما لم يكن يسمح للصـــدر الأعظم الا بتقبيل ذيل ثوبه (١) . واذا كان الترك قد أســـاءوا للعـــالم الاســـلامى عموما وللعرب خصوصـــا لانهم كانوا الباعث الاســـاسى لضياع الخلافة العباســـية بسبب تنازعهم المســـتمر على السلطنه ، فان العثمانيين قد كفروا عن سيئة قومهم برفع شأن الاســـلام والدفاع عنه وضم ســـكان وأراضى جديدة الى حورته العقائدية .

ويوم وطئت اقدام العثمانيين أرض أوربا لتقدم امبراطورية ضخمـــة على انقـــاض امبراطورية قســـطنطين كان شـــعار المحـــاربين هو « اللـــه اكبر » والذى أصـــبح فيما بعد يردد من « أياصـــوفيا » بعد تحويلها من كنيســـة الى جامع عظيم .

ولقد كانت الدولة العثمانية بحق دولة « ثيوقراطية » أى دينيـــة وكان ذلك يتمشى مع روح العصر الذى كان يضـــع الدين فـــوق كل اعتبار . وكانت الدولة من ناحيتها تعمل على تغذية العاطفة الدينيـــة الاســـلامية فى نفوس رعاياها رغبـــة فى الافادة منهـــا فى دفع حركات التوسع العســـكرى العثمانى فى أوربا بوجه خاص . وكان السلاطين يستشيرون رجال الدين فى كثير من الامور ويبررون تصرفاتهم بفتاوى

---

(١) مازال الرئيس الدينى فى السلطنة العثمانية يلقب مفتيا حتى حكم السلطان محمود الاول فسمى مفتى استامبول شيخ الاسلام وكان سليمان القانونى هو اول من بدل لقب الوزير الاول باسم الصدر الاعظم .
انظر : محمد جميل بيهم : المرجع السابق) ص ١٠٨ .

شرعية يستصدرونها من شيخ الاسلام . وكان علماء الدين يتمتعون بسلطة قوية من الناحية المعنوية

وكما هو معروف فان الدولة العثمانية كانت تقوم على اركان اربعة هى العسكر ـ العلماء ـ التجار ـ الرعية وكان المقصود بالعلماء رجال الدين (١) .

وقد أنشأ سلاطين الدولة العثمانية الكثير من المساجد الهائلة فى الآستانة وأدرنة وذلك بهدف كسب قلوب الرعية عن طريق الدين (٢) . وكان من مظاهر الاتجاه الدينى فى سياسة الدولة تشجيع التصوف بين العثمانيين حتى قيل فى هذا الصدد أن حياة الجماهير الدينية قد خضعت لتأثير مشايخ الطرق الصوفية أكثر مما خضعت لتأثير رجال الدولة وكان من أهم هذه الطرق الصوفية ثلاثة هى الطريقة النقشبندية ، ، الطريقة المولوية ، الطريقة البكتاشية (٣) .

وقد انعكس الطابع الدينى الاسلامى على سياسه الدوله العثمانيه فى الداخل والخارج وقد مجد المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى اهتمام العلماء واهل الدين ، وخدمة الحرمين الشريفين والتمسك فى الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وهابهم الملك وانقاد لهم المالك والمملوك (٤) .

---

(١) ساطع المصرى : المرجع السابق ص ٣٢ .

(٢) كان يلحق بكل مسجد كبير منشأت خيرية من مطاعم مجانية وتكايا واسبلة ومدارس ومكتبات .

(٣) دكتور فائق بكر الصواف : المرجع السابق ص ٢١ .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الطرق انتشرت فى البداية فى أملاك الدولة فى الاناضول ومنها انتقلت الى ولايات الدولة فى أوربا . ولكنها سرعان ما استغلت كسلاخ معوق للتطور ولتعود الناس على الكسل والاهمال وقتل المبادرة فى التفكير وجعلت العامة والرعاع العوبة فى يد مشايخ وزعماء هذه الطرق .

(٤) عبد الرحمن حسن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار القاهرة مطبعة بولاق ١٢٩٦ هـ ج ١ ص ٢١

ولقد أصبح لفظ تركى مرادفا للفظ مسلم ، الى درجه انه اذا اعتنق شخص بالدين الاسلامى قالوا عنه فى اوربا انة غدا تركيا عثمانيا . ( ٢ ) وكان هذا الخلط فى اذهانهم نتيجه طبيعيه لان كافه فتوحات العثمانين فى البلقان ووسط اوربا كانت فتوحاتهم باسم الاسلام .

فباسم الاسلام طردت القواعد الصليبية من جزر البحر المتوسط والتى كانت رءوس حراب لمهاجمه بلاد المسلمين وباسم الاسلام ماد السلطن محمد الفاتح القسطنطينيه ١٤٥٣ وكانت حلما يراود خيال المسلمين فى الأزمنه السابقه وباسم الاسلام قاد سليمان القانونى ست عشر حمله عسكرية داخل أوربا حتى وصل الى فيينا وباسم الاسلام أيضا تقدم العثمانيون لمساعدة العرب فى شمال افريقيا فى كفاحهم ضد الاسبان .

ومن الجدير بالذكر أن ظهور القوة العثمانية لحماية الراية الاسلامية جاء فى وقت كانت قوة العرب قد ذبلت وبدأت أوربا تتحرش بأملاكهم وكانت دولتهم فى أسبانيا قد انتهت . واصبح المسلمون العرب فى حالة يرثى لها بحيث بدأت فعلا أوربا تشن اكثر من الحملات الصليبية عليهم وقد ظهر ذلك واضحا فى تلك الحملات التى قادها البرتغال والاسبان ضد شواطىء شمال افريقيا .

فكأن ظهور العثمانيين كمسلمين وتسلمهم راية الجهاد والغزو باسم الاسلام قد أدى أكبر الخدمات التاريخية لحماية الدين الاسلامى بل ولحماية الامة العربية . ومن هنا يأت التفسير الذى نؤمن به وهو أن العرب لم يعتبروا الغزو العثمانى لبلادهم بمثابة احتلال أو سطو انما كان أخوة فى الدين أتى من خلال آل عثمان . وانتقلت راية الاسلام من المدينة الى الكوفة الى دمشق الى بغداد الى القاهرة ثم الى استنابول . أى أن مشعل الاسلام فى وقت لم تكن هناك أية قوة اسلامية أخرى تملك قدرة التصدى والمواجهة للأطماع الاوربية الصليبية . (٣)

وفى ضوء هذا الوضع الجديد بالنسبة للأتراك العثمانيين كحماة للاسلام استقر فى ذهن أوربا أن أى نصر عثمانى تحقق القوات التركية

---

(1) Lewis Bernard, The Emergency of Modern Turkey London 1968 P. 13.

(٣) دكتور محمد بديع شريف ، دكتور زكى المحاسنى — دكتور احمد عزت عبد الكريم : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ١٩٦٠ ص ١٩٣

انما هو نصر للاسلام وهزيمة للمسيحية وتاسيسا على هذا فان معظم المحالفات الدولية التى تكونت ضـــد الدولة العثمانية عبر تاريخها الطويل كانت فى حد ذاتها احلاف صليبية ضـــد الاسلام .

كما ان العالم الاسلامى قد نظر الى انتصارات العثمانيين على انهـا انتصارات له وعلى ان الدولة العثمانية هى دولة الاسلام الكبرى التـى يجب ان يستظلوا بظلها ، وقد ظهر ذلك واضحا فى بعض الممتلكات العثمانية العربية التـى وقعت فريسة للاحتلال الاوربى ، فمصر مثلا كان مصطفى كامل ومحمد فريد زعمـاء الحزب الوطنى بها يشـيدان بالدولة العليـة ويطالبان بالارتباط بها على اساس ان الاسلام كان هو قومية الشـعوب حتى ذلك الحين . كما ان العاطفة القومية لم تكن قد وجدت فى مصر حتى ذلك الحين . بل ظلت متوارية وراء العاطفة الدينية واذا اردنا الدقة فى التعبير فاننا نقول ان العاطفتين الدينية والقومية كانتا ممتزجتان متشابكتان بعضهما مع بعض حتى مطلع القرن العشرين وان العاطفة الدينية كـان لها الصدارة على العاطفة القومية والتى كان يسترط لنموها وظهورهـا عوامل معينـــة لم تتوافر فى العالم الاســـلامى فى ذلك الوقت واذا كانت الدولة العثمانية خلال مرحلتها الأولى وفى مواجهتها لأوربا اعتمدت على السيف والعاطفة الاسلامية للفتح والجهاد فانه بعد ســـنة ١٥١٧ أصبح من حق هذه الدولة أن تمثل السلطة الوحيدة فى العالم الاسلامى الزمنية والروحية بعد أن استولت على مصر والشام وقضت على القوة الاسلامية المنافسة لها وهى دولة المماليك وبالتالى دخلت الأرايى المقدسة ( أرض الحجاز ) فى حوزة الدولة العثمانية وانتقت الخلافة الى سلاطينها من آخر الخلفاء العباسيين الذين كانوا قد استقروا فى القاهرة بعد سقوط الخلافة الاسلامية العباسية فى بغداد سنة ١٢٥٨ على يد المغول بزعامة هولاكو .

وباهتمام الدولة العثمانية بالخلافة الاسلامية وحرص سلاطنيها على ابراز لقب خليفة وذكر اسم السلطان مقرونا باللقب الدينى الذى كان له وقع السحر فى أفئده المسلمين أصبحت بحق الدولة العثمانية هى الممثلة لمصالح المسلمين والمعبرة عن كيانهم ووحدتهم .

ولم يلبث الولاء الروحى الدينى ان عم ارجـــاء العالم الاســـلامى لخليفة العثمانى ولعل ابرز مثل لهذا الولاء الدينى هو ما حدث عند قيام ايطاليا بغزو طرابلس الغرب سنة ١٩١١ ( ليبيا ) وتدفقت جموع المتطوعين للوقوف بجانب دولة الخلافة . واتخذ الولاء الدينى فى مصر مثلا فى سماحها للجيوش العثمانية بعبور أراضيها لمواجهة الحملة الايطالية . وجمعت التبرعات من الكثير من المصرين حيث بلغ ما جمعة الامير عمر طوسون

للمساعدة حوالى مائة الف جنيه فى نيف ساعة من المنصورة فقط (١) وذلك لمساندة العثمانيين بل ولقد أرسلت مصر البعثات الطبيـــة لمعاونة جرحى الحرب ولم يكن كل ذلك الا مظهرا من مظـــاهر الولاء الدينى للاتـــراك العثمانيين ودولتهم التى هى دولة الخلافة .

ومن الملاحظة الجديرة بالذكر ان الولاء الروحى للخليفة العثمانى ساعد على تأخر ظهور الفكرة القومية فى البلاد العربية الخاضعة للسلطان العثمانى لأن هذه البلدان كانت اكثر من غيرها وفاء للدولة واخلاصا لهـــا — ولو ان العثمانين لم يدركو ذلك قط ولم يهتموا به ولم يحالوا استثماره بشكل ايجابى — ولقد كان من نتيجة هذا التأخير ان ظلت القومية الاسلامية مسيطرة على كل القوميات المحلية لفترة طويلة .

ولقد كان الترك وعلى رأسهم آل عثمان موضعا للثقـــة فى قيـــادة الامم الاسلامية وفى استرداد قوة المسلمين ومكانتهم فى العالم وكان فتحهم للقسطنطينية التى أستعصت على المسلمين ثمانيـــة قرون دليلا علـــى كفاءتهم وقوتهم (١) .

وقد امتاز الشعب التركى المسلم تحت قيـــادة آل عثمان بمزايـــا استحق بها زعامة المسلمين نذكرها فيما يلى وبسرعة موجزة : —

أولا — انه كان شعبا ناهضا متحمسا طموحا فيه روح الجهاد وكـــان فى بداية عهده بالمسئولية بطريا وبسيطا ولم يعرف تعقدات الحضارة ورخاوتها التى أصابت أمم الشرق وأدت الى انهيارها .

ثانيا — انه كان متوفرا لديه القوة الحربية التـــى يقدر بها علـــى بسط سيطرة الاسلام المادية والروحية ويتبوأ بها قيادة العالم وقال « كاهون » ان أول ما يلفت الانظار فى الاتراك روح الانتظام والتربيـــة العسكريـــة الصارمة وقد حرصوا على ذلك كل الحرص . (٢) ويصف فيشر الاتراك

---

(١) غز الأسطول العربى القسطنطينية بقيادة « بسرين ارطاة سنة ٤٤ هجرية ( ٦٦٤م ) وحاصر يزيد معاوية القسطنطينية ســـنة ٥٢ هـ ( ٦٧٢م ) وحاصرها العرب بعد ذلك ما يقرب من أربع مرات ولم يستطيعوا فتحها لمنعتها .
انظر : السيد ابى الحسن على الحسينى الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ط٧ دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٧ ص ١٤٤

العثمانيين بقوله « ان خلقهم امتازوا بشىء غير قليل من الهيبة المتزجة وقار الطلعة وبأن تفكيرهم لا يتعدى فى لزوميات الحكم الامبراطورى مبادىء الاوليجاركية الاستشارية ، وهى المبادىء التى تعتمد على الرقيق وتنظر الى البشرية المحيطة بما كأنها لا تصلح الا للاسترقاق والعبودية » (١)

وقد جاء الراى الاخير متفقا مع راى المؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى Arnold Toynbee حيث قال « ان طاقاتهم الرعوية انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطعان الى حكام لامبراطورية ومثل كل البشر فان الحلول التى استعانوا بها لمواهة المشكلات التى استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربهم السابقة » (٢) .

وفى عهد سليمان القانونى جمعت الامبراطورية العثمانية السيادتين البرية والبحرية والسلطتين السياسية والروحية على كافة أنحاء العالم الاسلامى تقريبا .

ثانيا — كانوا فى أحسن موقع استراتيجى فى العالم الاسلامى فوجودهم فى شبه جزيرة البلقان بحيث كانوا يشرفون منها على آسيا وافريقيا وأوربا وكانت عاصمتهم واقعة بين البحرين الأسود والمتوسط ، واصلة بين قارتى آسيا وأوربا فكانت خير عاصمة لأكبر دولة تحكم على آسيا وأوربا وافريقيا وليس أدل من أهمية هذا الموقع قول بونابرت « لو كانت الدنيا دولة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها (٣) .

---

(١) هربرت فيشر : المرجع السابق ص ٤١٦ .

(٢) بخصوص موقف مصر من الحرب الايطالية التركية انظر :

— أحمد شفيق باشا : مذاكراتى فى نصف قرن حـ٢ عباس حلمى الثانى من يناير ١٩٠٣ — ١٩١٤ القاهرة ١٩٣٦ ص٥٦٢ .

— دكتور محمد حسين هيكل باشا : مذكرات فى السياسة المصرية القاهرة ١٩٥١ حـ ١ ص ٢٠ .

— دكتور محمد صفوت : انجلترا وقناة السويس ( ١٨٥٤ — ١٩٥١ ) ط١ القاهرة ١٩٥٢ ص ١١٤ — ١١٥

(٣) السيد أبى الحسن على الحسينى الندوى ( عضو المجمع العلمى فى دمشق ) . ( ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ) ط٧ دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٧ ١٤٧ .

لكل هذه الاسباب انعقد لواء الزعامة الاسلامية جهدا وعرقا وموقعا رحظا وايمانا وثقة للدولة العثمانية . ولكن لسوء حظ المسلمين فان الترك دب اليهم داء الأمم من قبلهم الحسد والبغضاء واستبدال الملوك وجورهم وسوء تربيتهم وفساد اخلاقهم وخيانة الأمراء والخلود من جانب السلاطين الى الدعة والراحة ووقف العلماء ورجال الدين فى تركيا ضد حركات التطور وقبول وهضم الافكار الجديدة . وبدات مرحلة الانحطاط الفكرى بينما غيرهم يتقدمون .

ان الاسلام ليس دينا روحيا كبقية الاديان بل هو دين اجتماعى أيضا ومن هنا كان تأثيره بعيد المدى على حياة الافراد والجماعات التى تعتنقه ، اذ هو لا يكتفى بتنظيم العلاقة بين الانسان وربه فحسب بل يسعى الى تنظيم حياة الافراد الخاصة ويربطها بحياة المجتمع العامة . وقد خلقت تعاليم الدين الاسلامى مجتمعا غير انطوائى لا يتولى السلطة فيه طغاة .

والدين الاسلامى ضد الشهوات ويحرر الانسان من الانانية والنزوات، ويقف ضد النرجسية والذاتية ويعطى انفتاحا ويدعو للوقوف ضد الانغلاق ويحث دائما على التعاون والمساواة وينادى باقامة مجتمع العدل والتكافل الاجتماعى ولا يعرف الدين الاسلامى الاستبداد أو الاستغلال ولكن خلفاء آل عثمان — بالذات فى عصورهم الاخيرة — تناسو كل ذلك ولم يفهموه ولم يهضموه خاصة فى معاملاتهم لرعاياهم وفى وقولهم ضد مبدأ الشورى وتحكمهم المطلق فى عباد الله . وقد ساعدهم على ذلك الكثير من رجال الدين الذين جردوا الدين الاسلامى من المعنى الحضارى له .

وهكذا يمكننا ان نصل الى نتيجة وهى انه اذا كان الدين الاسلامى فى مرحلة من المراحل هو احد الاسباب الرئيسية لقوة الدولة العثمانية فى مواجهة أوربا والاطماع الدولية وفى التوسع والغزو ، فان هذا الدين أيضا كان احد الاسباب الرئيسية عندما لم يتمسك القادة العثمانيون بجوهر تعاليمه — لانهيار الدولة العثمانية بعد أن ثبت خروج السلاطين على أبسطو قاعد العدل الاسلامى واتجاه أصحاب النفوذ فى الاستانة الى اتباع سياسة التتريك والى بعث وتفجير قضية الادماج من أجل القومية التركية . كما ان تفسير الدين الاسلامى لصالح الأباطرة العثمانيين وايجاد المبررات لتصرفاتهم من خلال الفتاوى الدينية التى كانوا يحصلون عليها من مفتى « استنابول » كل ذلك ولا شك أضاع هيبة العلماء ورجال الدين امام الشعب ، بالاضافة الى أن وقوف أصحاب العمائم ( رجال الدين

الاسلامى ) فى الدولة ضد فكرة التغيير وتقبل الآراء الجديدة — والتى كانت لا تتعارض وتعاليم الاسلام — افقد هؤلاء العلماء تأييد المثقفين . ومن ثم كان حتما أن تصبح السلطة بلا محتوى عقائدى صحيح مدعم ومسنود من الماهير فكان لابد من سقوط الادعاء الذى تحمله بأنها تحمله اسلامية تمثل آمال المسلمين وتحمل كلمات الله على الارض .

ولقد حاول السلطان عبد الحميد الثانى بعث القومية الدينية فى الدولة ومن ثم ظهر تبنية لفكرة الجامعة الاسلامية بعد مؤتمر برلين ولكنه اساء استخدام الفكرة واستغلها لمصلحته ولم يكن صادقا مع شعبه وانما كانت مجرد لعبة سياسية حاول بها ارهاب أوربا فى وقت عرفت فيه حقيقة أوضاع الدولة والسلطنة ولم يكن يحميها منه الفناء الى التنازع بين الطامعين حول من يأخذ ماذا وكيف تتوازن القوى الدولية فى ظل تقسيم الامبراطورية العثمانية . هذا التنازل هو الذى ابقى على الدولة العثمانية لفترة أخرى وأمد فى اجلها لحين جاء قضائها المحتوم .

وفى بداية الدعوة لنشر فكرة الجامعة الاسلامية نجح السلطان عبد الحمية الثانى حيث انضم اليه دعاة مستنيرون من بلاد كثيرة وعلى راسهم السيد « جمال الدين الافغانى » الذى كان يؤمن ان الروح الصليبية لم تبرح كافة صدور النصارى تكون النار فى الرماد وروح التعصب لم تنفك من قبل « وقال الافغانى ان العالم الاسلامى ليس عليه الا أن يتحد اتحادا دفاعيا عاما مستمسك الاطراف وثيق العراق ليستطيع بذلك الزياد عن كيانه ووقاية نفسه والا كان الفناء نصيبه .

ونادى الافغانى بأن تحقيق الدعوة لهذه الجامعة لا يتم بصورة جادة الا لو استعار العالم الاسلامى اسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه ومقدرته .

ولو ان السلطان عبد الحميد لم يقرن دعوته للجامعة الاسلامية بخطته الاستبدادية ومصلحته الشخصية لنجحت فكرة الجامعة الاسلامية فى أن تلم شعثها وتوحد كلمتها وتقف على قدميها . ولكن سلوكيات عبد الحميد نفسه ثم ضربه للحركات التحررية التى ظهرت فى عهده ووقوفه ضد الدستور والغاءه البرلمان ثم تعرض الدولة للكثير من الهجمات على يد اعدائها والشكوك التى احاطها عن حوله الى جانب موقف الدولة العاجز فى حماية ممتلكاتها العربية من السقوط فى يد الاستعمار الغربى ... كل

هذا جعل فكرة الجامعة الاسلامية مجرد مجموعة من الآراء والاتجاهات وحلم يحتاج الكثير لتحقيق مرامية على ارض الواقع .

وهكذا بدأت الدولة العثمانية حامية للاسلام حملت رايته فى ظل شك ولكن لم تستطع الدولة فى النهاية ان تقف على المسرح ولم تستطع ايضا ظروف كان مهددا بها ونجحت وادت دورا للاسلام والمسلمين ما فى ذلك أن تأخذ بأسباب التقدم وظلت معقلا للاغلال والتدهور وساء الموقف انه لم يظهر قوة قوة جديد تحمل مشعل الاسلام عنها بعد أن كانت المسئولية لم تظهر قوة جديدة تحمل مشعل الاسلام عنهـــا بعد أن كانت هى السبب فى القضاء واضعاف القوى الاسلامية الاخرى المحيطة بها .. وهكـــذا تحملت المسئولية وحدها ولكنها فى النهاية عجزت عن مواصلة السير فى الطريق ... ومن هنا تتضح جناية الامبراطورية العثمانية فى أواخـــر أيامها ــ بسياسة سلاطينها ــ على العالم الاسلامى .

# مكتبة التاريخ العثماني

# حول العلاقات المصرية العثمانية
# فى النصف الاول من القرن الـ ١٩

فى سنة ١٥١٧ سقطت الدولة المملوكية فى مصر واصبحت ممتلكاتها فى سوريا والحجاز فى حوزة الامبراطورية العثمانية وذلك عقب انتصار سليم الاول على السلطان « الغورى » فى معركة مرج دابق بالقرب من حلب ثم فى معركة « الريدانية » على السلطان « طومانباى » وبهذا انتهت عظمة مصر واصبحت مجرد ايالة ممتازة من ايالات الدولة العثمانية .

ولقد اثار اتجاه الدولة العثمانية نحو الشرق العربى الكثير من التساؤلات لما كان يعنية من تحول تاريخى فى استراتيجية العثمانيين والتى كانت حتى ذلك الحين توجه غزواتها نحو اوربا وآسيا الصغرى ومما لا شك فيه ان طبيعة الدولة العثمانية العسكرية كان يجعلها تتجه دائما الى الفتح والغزو وحيث كانت اوربا خلال السلاطين الأوائل فى حالة من الانقسام والفوضى والتطاحن مما جعلها مسرحا حربيا سهلا للعثمانيين يحرزون فيه النصر تلو النصر ولكن بعد سنة ١٥٠٠ بدات الغزوات العثمانية فى أوربا تجد مقاومة عنيفه وتكونت الأحلاف ضدهم بل بدات الهزائم تلحق بهم فالقوى الاوربية التى لم تتمكن من قبل من الصمود فى مواجهة غزوات العثمانيين اصبحت قادرة على مواجهتهم بمقاومة عنيفة . وطبقا لنظرية « ارنولدتوينبى » أن غزو العالم العربى أمر فرض على العثمانيين كنتيجة لقيام دعوى الانشقاق الدينى الشيعيه فى قلب العالم الايرانى الذى ينتمى اليه العثمانيون انفسهم وان ذلك الانشقاق ثار خلال حركة انتعاش ثورية غير متوقعة للمذهب الشيعى وانبعاثها كقوة سياسية عسكرية على عهد اسماعيل الصفوى ( ١٥٠٠ — ١٥٢٤ ) (١) أى أن تونيبى يقرر أن غزو ادلولة العثمانية العالم العربى كان امرا مفروضا عليها بسبب ظهور قوة الصفويين الشيعيين الموجهة ضد الأغلبية السنية من المسلمين . ومع ذلك نحن لا نعتبر ذلك العامل كافيا لتفسير تحركات سليم الأول نحو العالم العربى والحقيقة انه كانت توجد عدة عوامل ادت الى هذا الاتجاه ؟ منها كما ذكرنا التحولات الضخمة فى أوربا والتى ادت الى صمودها ضد غزوات العثمانيين ووجد سليم ان باب التوسع الاوربى قد اوصد تماما أمام الدولة العثمانية بعد هذه التحولات ، وحيث كانت احوال العالم العربى مضطربة ، وفى ذات الوقت كان تقدم سليم لغزوه فيه حماية ضد اسماعيل الصفوى واحتمالات ان يسبقة الى ذلك يضاف الى هذا بعض العوامل

---

(1) Toybee Arnold, Op. Cit. Annex I. Vol. I. pp. 347-402.

الشخصية بين الدولة المملوكية وسليم حيث كانت هذه الشجع المناوئين لسليم وترحب وترحب بهم فاعتبرها عنصر مقلق له يضاف الى هذا رغبة سليم فى حيازة مزيد من اراضى المسلمين وبالذات اراضى العرب لتجعل الدولة حقا وواقعا حامية للاسلام وذلك من خلال استيلائها على الاراضى المقدسة . وفى خلال فهمنا للأسباب التى دعت لى اتجاه الدولة العثمانية لهذا الاتجاه يجب أن نذكر الأسباب الاقتصادية لاحكام سيطرة العثمانيين على جميع الطرق البحرية والبرية التى كانت تربط الشرق والغرب والتى كانت معروفة آنذاك للعالم القديم . ثم هناك الأسباب العسكرية والاستراتيجية لاستمرار عظمة الدولة ولا يجب ان ننسى الاسباب الدينية (١) .

(١) يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه شخصية مصر ( دراسة فى عبقرية المكان ) : —

الواقع ان مرحلة السيطرة العثمانية على الشرق العربى صاحب فى مرحلته التاريخية ما يمكن ان نسمية فى قاموس السياسة باسم السيولة السياسية حيث كان ذلك العصر هو عصر سيطرة الدين او ما يمكن ان نطلق عليه عصر القومية الدينية وكانت روح ذلك العصر تفترض ان ينتقل المسلمون حرية وبلا قيود داخل ( دار الاسلام ) او بلغة العصر الحديث الكومنولث الاسلامى ( ولعلة الأول من نوعه فى التاريخ فى شكل النظم السياسية ادلولية )ففى هذا النظام كان الحكام يتحركون من قطر الى قطر او يفتحون او يضمون قطرا من الأقطار دون حساسيات اقليمية حادة ودون اى مدلول او محمول استعمارى والاستثناء الوحيد لهذا — وبعنف وضراوة عند ذلك — كان فى حاله ( الكفار ) من وثنيين او غير مسلمين .

ويبدو ان نفس هذه الظاهرة كانت تسود داخل اوربا المسيحية حيث كان الالمان فى ايطاليا او انجلترا او الفرنسيون يحكمون فى المانيا او الاسبان يحكمون فى هولاندا .

وفى ظل هذه السيولة السياسة دارت القوة طويلا من يد الى يد داخل الدولة الاسلامية ولكنها استقطبت بصفة خاصة فى العرب والأتراك — وكل من بيئات روعوية صخراوية — فاستقطبت فى عرب الجزيرة من البداية حتى آلت كلية الى الاتراك العثمانيين معنى النهاية . وفيما بين البداية والنهاية تسلل من تسللوا من الأتراك ومعهم او بعدهم الشراكسة والاكراد والتركمان والقوفاز والأزمن ... تسللوا من الدولة العباسية الى السلطة حتى تنازعوها بالتدريج مع العرب فى لعبة شد حبل تاريخية ممطوطة كانت ترتكز على ايما قطر اسلامى اتيح لها ، وكان مركز القوة يتحرك من قطر الى قطر بحسب ذلك الشد والجذب وكان القطر الواحد تابعا يوما متبوعا غدا على التناوب وبدون حرج .

وخلال الحكم العثمانى لمصر حتى ظهور مصر كقوة عظمى فى عهد محمد على كان النظام الذى وضعه العثمانيين لحكم مصر لا يمكن أن يعطيها اى تقدم حقيقى او اى تحول ايجابى . وعزلت مصر تماما وفى ذات الوقت تدهورت كافة مرافقها الاقتصادية (١) .

ولكن الشعب المصرى تميز عن غيره من الشعوب التى حكمتها الدولة العثمانية بأنه كان كثير الثورات على حكامه الظالمين . وظهر من مصر بعض الحركات الانفصالية التى دوخت الدولة العثمانية نذكر من ذلك الحركة الانفصالية التى قام بها « على بك الكبير » سنة ١٧٦٩ . وظل مشايخ الأزهر والعلماء الدينيين فى مصر يقومون بدور هام لحماية الشعب المصرى من الظلم الذى يقع عليه من السلطه العثمانية فى مصر او ممثليها من المماليك ووصلت قمة التمرد الشعبى ضد كل من مراد و ابراهيم بك المملوكان اللذان كانا يحكمان مصر فى سنة ١٧٩٥ حيث تظاهرت الجماهير المصرية الى درجة أن بعض المؤرخين يحاولون القول أن هذا العام يمثل تحول فكرى هام فى تاريخ الانسان المصرى حيث حصل العلماء الذين قادوا الاضرابات والمظاهرات من السلطة فى مصر ما يشبة العهد والذى اقر فيه انه لا تفرض ضريبه الا بعد موافقة قادة الشعب على ذلك وان تخفف المظالم عن كاهل الجماهير (٢) .

ولقد كان مجىء الحملة الفرنسية على مصر ( ١٧٩٨ — ١٨٠١ ) بمثابة صدمة كهربائية للمجتمع المصرى أدت الى احتكاك حضارتين احداهما متقدمة ومتطورة ووليدة الثورة الفرنسية وتراث من التطر والتقنية والثانية جامدة ولكن ليس على طول الخط . ومع ذلك فان المبالغة فى دور الحملة الفرنسية وما قامت به لا يجب أن

---

(١) أحقاقا للحق أن مرافق مصر الاقتصادية كانت متدهورة منذ العصر المملوكى ، ولم تشهد مصر فى تاريخها السياسى أظلم من تلك الحقبة التى خضعت فيها لحكم المماليك البحرية والجراكسة من سنة ٦٤٨ — ٩٢٣ هـ ( ١٢٥١ — ١٥١٧ م ) ولقد حاق بأهل مصر فى هذه الفترة ما لايوصف من الفقر والقهر الاجتماعى والفوضى الأخلاقية . فلم يزد العثمانيون شيئا سوى ان جمدوا الموقف على ما هو عليه .

انظر : الشيخ أحمد الرمال ( ابن زنبل ) : آخرة المماليك تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٢ ص ٤ — ٥ .

(٢) دكتور لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث ( الخليفة التاريخية ) ط١ كتاب الهلال ط٣ العدد ٢١٥ ص ٦١ .

يرسخ فى الاذهان — مع الوضع فى الاعتبار نصر مدتها — ذلك لان الأزهر كان يموج بالثورة وكان الشعب فى حالة غليان بصفه مستمرة .

وعقب خروج الحملة الفرنسية من مصر تصارعت مجموعة من القوى بعضها كان يريد وقف الزمن والعودة الى السلطة مثل المماليك وبعضها كان يريد أن يحل محل الحمله الفرنسية بعد ان وضح له القيمة الاستراتيجية لموقع مصر فى طريق مواصلاتها مثل الانجليز . كما ان الاتراك العثمانيين كانوا يريدون تشديد قبضهم على مصر ولكن كانت قوة الشعب تنمو حتى اخذت ناصية الامر واستطاعت ان تولى من كانت ترى فيه انه قادر على حماية مصر وعلى السير بها فى طريق العدل وهو محمد على باشا .

ولد محمد على فى « قوله » سنة ١٧٦٩ وهى ثغر واقع على الحدود بين تراقيا ومقدونية ( وهى نفس السنة التى ولد فيها نابليون بونابرت ) وتد توفى والده ابراهيم اغا بعد مولده ببضع سنين وتركه لكفالة عمه الذى بزمن قصير فاحتضن تربيه أحد اصدقاء والده ولما بلغ محمد على الثانية عشر من عمره تزوج من سيدة ثرية من اقارب حاضنة ، ومع انه كان فى خدمة حاكم المدينة الا انه تمكن بفضل اموال زوجته من الاتجار فى التبغ وفى هذه الفترة تعرف برجل فرنسى هو وكيل احدى شركات الدخان الكبرى فى فرنسا وقد كان عن طريق ذلك الرجل ان تعلق محمد على بكل ما هو فرنسى واثر ذلك على سلوكه فى الاستعانة بفرنسا عند ولايته الحكم فى مصر (١) .

وحيث كان طموحا فانه انضم للجيش العثمانى الذى اعده السلطان لطرد الحملة افرنسية من مصر .

اى انه لولا الحملة الفرنسية ما وطأت اقدام محمد على ارض مصر . ومما شجع محمد على ان ينضم الى الجيش العثمانى الذى سيأتى الى القاهرة لاخراج الحملة الفرنسية انه علم بتعيينه قائمقام للأورطة التى حشدت فى مدبرينه (٢) . وقد شارك محمد على فى موقعة « أبى قير » البرية ولما خرج الفرنسيون من مصر نصب محمد على قائدا على اربعة آلاف جندى الباتى فارسلة « خسرو » باشا الوالى العثمانى الجديد الى الصعيد لمحاربة

---

(١) عبد العزيز بدر : مصر الحديثة قبل الاحتلال البريطانى وبعده ( سلسلة محاضرات القيت امام شعبه حزب العمال بمانشستر ) . القاهرة مطبعة مصر سنة ١٩٢٣ ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) عبدالعزيز بدر : المرجع السابق ص ٢٨ — عبدالحليم المصرى : محمد على الكبير منشىء مصر الحديثة القاهرة سنة ١٩١٩ ص ٤٤ .

المماليك وخدل نواجد محمد على فى الصعيد حاول « خسرو » الغدر به فتحالف محمد على مع البرديسى زعيم المماليك وتمكن من عزل الوالى فى سنة ١٨٠٣ (١) .

ونجح محمد على فى الايقاع بين محمد بك الالفى المملوك الذى عاد بعد سفره الى انجلترا وحضر الى مصر بمخطط بريطانى هدفه استيلاء الانجليز على سواحل مصر الشمالية ، نجح محمد على فى الوقيعة بين الألفى والبرديسى ثم حرض الجنود على البرديسى لتأخرهم فى استلام رواتبهم فكان أن فرض البرديسى الضرائب الفادحة على سكان القاهرة فثاروا عليه والجأوه الى الهرب ١٨٠٤ ورغم ان الجو خلا لمحمد على الا انه تظاهر بعدم بعدم الجرى وراء مصلحة خاصة ونصح العلماء والمشايخ بتنصيب خورشيد باشا محافظ الاسكندرية واليا عليهم وفعلا ثم ذلك ولكن الوالى الجديد خاف على منصبة من محمد على وجند الألبانين فاستخدم جندا من المغاربة يسمون ( الدلاة ) اساءوا معاملة الاهالى واوسعوهم نهبا وقتلا فازداد المصريون كراهية للوالى الجديد .

وبدء أول احتكاك بين الدولة العثمانية ومحمد على فى تلك الاثناء حيث اصدر السلطان أمره لمحمد على بأن يتوجة الى «جده » ليصبح واليا عليها وكان محمد على يدرك ان هذهحيلة لابعاده عن مصر نتيجة لوشايات كل من خسرو باشا الوالى السابق وخورشيد باشا الوالى الحالى ( ١٨٠٤ ). وبمجرد أن علم محمد على الذى تصادف وجودة فى الصعيد لقتال المماليك باستحضار الدة عاد سريعا الى القاهرة وحرض جندة على المطالبة برواتبهم من خورشيد وبدا محمد على يسعى لكسب ثقة المشايخ والعلماء . وقصدت كل الطبقات الى بيت محمد على يشكون الوالى الجديد وما يفعله الدلاة وحاول خورشيد أن يجبر محمد على تنفيذ أمر السلطان بالتوجية الى جدة فثار الجنود الالبان وانحاز الدلاة الى محمد على ففر خورشيد الى القلعة حيث تحصن بها وهنا التف المشايخ والعلما حول محمد على يطلبون منه ان يتولى الأمور خاصة بعد ان طلب المشايخ من خورشيد أن ترفع عنهم المظالم

---

(١) د. محمد صبرى : تاريخ العصر الحديث ( مصر — الولايات المتحدة — الاستعمار الاوربى )
مطبعة مصر ١٩٣١ القاهرة ص — ٣٢
(٢) المرجع السابق ص ٣٣ . وقد صدر هذا الفرمان فى ١٠ مايو سنة ١٨٠٤ .

وعدم جبـــاية اموال جديدة وان يقيم الجنود فى الجيزة بعيدا عن القـــاهرة ولايسمح لهم بدخول العاصمه ومعهم اسلحتهم . (١)

ولكن خورشيد لم يوافق على هذه المطالب عندئذ اتجهت الانظار الى محمد على لانقاذ الموقف ويصف الجبرتى ما وقع بين محمد على والمشايخ الذين قالوا لـــه :

« انا لانريد هذا الباشا حاكما علينا ولا بد من عزله من الولاية » ولما سألهم :

« ومن تريدونه يكون واليا » قالوا له : « لا نرضى الا بك .. وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمة فيك من العداله والخير » فامتنع محمد على اولا ثم رضى وحضروا له كركا وعلية تفطان ، وقام الية السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى فالبساه وكان ذلك فى العصر ونودى بهذا فى القاهرة

ولكن خورشيد باشا رفض التنازل فظل الاهالى يحاصرونه حتى جاء الفرمان السلطانى بولاية محمد على فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ وفى نهايـــة أغسطس ترك خورشيد القلعة ثم غادر البلاد وهكذا اخلص الأمر لمحمد على نهائيا واصبح من ذلك التاريخ واليا على مصر (١) .

ومع ان محمد على كان اقوى شخصية تركية فى مصر فى ذلك الوقت واقدر على حفظ الأمن والنظام الى جـــانب الحب والتأييد اللذان كان يتمتع بهما من الشعب المصرى الا أن السلطان كان يعتقد أنه خطر علية ولذلك كان يترقب اول فرصة لخلعه جزاء قبوله المنصب بدون استئذانه وكان لمساعى الانجليز الخبيثة اثر فى موقف السلطان من محمد على وقد لعب هذا الدور « مسيت » القنصل الانجليزى فى مصر والذى كان يعتبر محمد على من أكبر الموالين لفرنسا حتى انتهى الأمر فى النهاية الى أن يصدر السلطان فرمانا بتولية موسى باشا على مصر وتقليد محمد محمد على سلونيك وكان ذلك فى عام ١٨٠٦ وفعلا ابحر الأسطول العثمانى بقيادة القبطان صالـــح لارغام محمد على تنفيذ فرمان السلطان ، ولكن محمد على ابى اطاعة اوامر السلطان وصمم على المقاومة وصار يعمل على استمالة القبطان باشـــا وحاشـــيته عن طريق الهدايا وشاعت الاقـــدار أن تقف مع محمد على

---

(١) دكتور محمد انيس — دكتور احمد السيد دراج : دراسات فى التاريخ المصرى
دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٦٤

(٢) د. محمد انيس — د. احمد السيد دراج : المرجع السابق ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

اذ قامت الحرب الروسية التركية فى ذلك العام فاضطر السلطان الى سحب اسطوله من المياه المصرية وفى تلك الاثناء فقد الانجليز كل امل لهم فى المماليك وبمساعى القبطان باشا اصدر الباب العالى فرمانا جديدا ثبت به محمد على فى ولاية مصر وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٨٠٦ (١) .

وهكذا يتضح من البداية ان علاقة السلطان بمحمد على لم تكن علاقة طيبة بل كانت تقوم على النفور مما يحاول كلما اتيحت له الفرصة التخلص من محمد على وابعادة عن مصر . وعندما اتيحت الفرصة لمحمد على لتثبيت اقدامة فى مصر وارساءه قواعد النظم الحديثة لتاسيس دولتة كان من الممكن لدولة الخلافة أن تستفيد من ذلك ولكن ظلت فكرة التخلص من محمد على مسيطرة على السلطان تماما حتى وهو يطلب معونته لانقاذه من محنة او لاخضاع ثورة قامت فى احدى اقاليم سلطنتة .

وقد ظلت العلاقات بين محمد على والسلطان حتى سنة ١٨٣٠ تدور فى اطار سياسه استماله السلطان صاحب السيادة الشرعية عليه حتى يطمئن من ناحية الى استقرار حكومته وصيانة ولايته ولذلك فان محمد على خلال تلك المرحلة الأولى من سياسته قبل السلطان كان يسعى لارضاء الباب العالى باخلاص وامانة .

وخلال تلك الفترة — باستثناء النوايا السيئة من جانب السلطان للتخلص من محمد على — كان السلطان مرتاحا الى ولاء محمد على وان لم يرتح مطلقا الى زيادة قوته . ولكن كان لموقف السلطان من محمد على سواء برفضه عدم ضم املاكا جديدة الى تابعة أو برفضه مكافأته وتعويضه عما فقده فى حروبه لصالح الدولة ... هذا بالاضافة الى موقف الدول الأوربية — عدا فرنسا الى حد ما — وبالذات انجلترا والتى كانت ترى فى محمد على عدوا يبعث اليقظة فى الدولة العثمانية ويقوض احلامها كل هذا ادى الى الوقيعة بين السلطان ومحمد على والذى انتهى فى النهاية بانهيار قوة محمد على وتحجم قواته ولم يكن ذلك لصالح الدولة العثمانية والتى كان يمكنها أن تستخدم قوة محمد على كقوة تابعة لها .

ولقد أدى موقف السلطان من محمد على وعدم اعتراف الباب العالى بالجميل وكثرة الدسائس التى دبرتها الحاشية ضد الوالى فى مصر الى أن يفكر هذا الوالى فى أن يستقل بمصر والمنطقة العربية المحيطة بعيدا عن الدولة العثمانية(٢) .

---

(١) عبد العزيز بدر : المرجع السابق ص ٢٩ .

(٢) د. محمد انيس — د. احمد السيد دراج : المرجع السابق ص ٣٠١ .

ولكن المسئولية الاولى والاخيرة تقع على عاتق السلطان العثمانى والذى لم يفهم حقيقة الموقف الدولى ولو كان قد احتضن هذه القوة لبعث فى دولة الخـــلافة روحا جديدة ولتجدد شبابها وكـــان يمكن ان يتغير وجـــه التاريخ بلا مبالغة او عاطفية .

وكانت أول الخدمات التى قام بها محمد على للسلطنة العثمانية هى تصدية للحركة الوهابية ، تلك الحركة التى استفحل أمرها فى الدرعيه ووصل بها الأمر الى أن استولت على أطراف من حدود ولاية بغداد ، وعجز داود باشا والى بغداد عن التصدى لهم ، مما شجعهم على مهاجه الأراضى المقدسة وكانوا يحملون أفكار عقائديه لم تستطيع ان تواجههـــا الدولـــة العثمانية وبالتالى مثلت الدعوة الوهابية اكبر الأخطار على مركز الخلافة وعلى قدرتها فى حماية الأمكان المقدسة ومن هنا يتجلى الدور العظيم الذى قام به محمد على لصالح الدولة العثمانية .

وقد كان احد الأهداف الرئيسية للدولة العثمانية فى تكليف محمد على بمحاربة الوهابين هو كشفة فان هزم تكون الدولة قد تخلصت منه وان انتصر يكون قد قضى على عصيان الوهابين . وقد قبل محمد على المهمة وهـــو بعد لم يكن قد اكمل فى حكم مصر اكثر من خمس سنوات ، ولم يكن تملك الاستعداد لحرب الصحراء بالاضافة الى أن جيشه الحديث لم يكن قـــد تكون بعد ، لذلك قبـــل المهمة بعـــد تردد وبعـــد تسويف . (١) اذ أن السلطان كلفة رسميا بتلخيص الحجاز من الوهابيين فى سنة ١٨٠٧ ولـــم يخرج بحملته الا سنة ١٨١١ .

ان تلك الحرب الوهابية والتى جرد لها محمد على أكثر من ثلاث حملات واستمرت سبع سنوات لم تكن لازمـــة ولاضرورية لمصلحة مصر ولم يقدم عليها محمد على الا استجابة لنداء الدولـــة العثمانية (٢) ورأى محمد على فى النهاية انها فرصة له اذا تغلب علـــى الوهابيين أن يثبت مركزه لدى السلطان . والذى كان لا يفتأ يحاول ابعاده من منصبه كوال على مصر . (٣)

---

(١) الدكتور فائق الصواف : المرجع السابق ص ٥٩ .
(٢) المرجع الســـابق ص ٦٠ .
(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ط٣ القاهرة ١٩٥١ ص ١٢٥ .

ومن الجدير بالذكر أن هناك فرق بين محاولة على بك الكبير غزو الحجاز وبين حملة محمد على على الحجاز ، ذلك أن الاول عندما أرسل محمد أبو الذهب لغزو الحجاز كان يريد فصله عن الدولا العثمانية اما محمد على فقد كان يريد اعادتها الى حظيرة الدولة العثمانية (١) .

ولكن خلال حملة محمد على على الحجاز فوجىء بالباب العالى يدبر مؤامرة ضده من خلال احد مماليكه المدعو « لطيف » باشا وكان محمد على قد أرسله الى الآستانة ليزف بشرى انتصاراته الأولى على الوهابيين فأنعمت عليه الحكومة بلقب « باشا » فازداد غرورا واغراه بالتامر على « محمد على » وقبل لطيف باشا هذه المهمة ولما عاد الى مصر ارتاب محمد على فى أمره وانتهى بقتله . ويحاول المؤرخ المصرى عبدالرحمن الرافعى التشكيك فى حقيقة التامر هذا ويعلل ذلك ان الدولة العثمانية كانت فى حاجة الى محمد على ليفرغ من مهمته القتالية فى ضرب الوهابيين وعودة الحجاز اليها وأن محمد على كان وقتذاك مشمولا برضاء الحكومة التركية (٢) ولكنا لا نستبعد ذلك من جانب بعض العناصر التركية التى كانت تتوق الى الولاية على مصر .

وتجىء الازمة الثانية التى يتعرض لها السلطان العثمانى عند نشوب ثورة اليونان وهزيمة جنود الدولة العثمانية فى المورة مما دعا هذا الى طلب مساعدة محمد على وفعلا لم يتقاعس محمد على عن اعداد حملة ضخمة بقيادة نجله الاكبر « ابراهيم باشا » بطل الحجاز وقاهر الوهابيين وقد اصدر محمد على فرمانا فى ٦ مارس سنة ١٨٢٤ بتعيين ابراهيم باشا واليا على كريت والمودة معا . وكان ابراهيم باشا قد نجح فى الايستيلاء على كريت سنة ١٨٢٣ وايتعد منها للنزول الى المورة التى نجح فى الوصول اليها فى فبراير سنة ١٨٢٥ حيث هزم الثوار فى معركة « نوارين » البرية ثم استولى ابراهيم وجنوده على « نوارين » فى مايو سنة ١٨٢٥ فكان دخولها أعظم انتصارات الجيش المصرى فى تاريخة الحربى(٥) وتوالت انتصارات الجيش المصرى فى اليونان وفقد الثوار اليونانيون كل أمل فى الانتصار . ولكن هبت أوربا فجأة لتواجه ذلك الاعصار المصرى وبدأت الدول الأوربية تخشى أن يتطور الموقف بصورة تخل بالتوازن الدولى فى أوربا ، خاصة وأن روسيا بدأت تلوح بالتدخل لانقاذ ثوار

---

(١) الدكتور فائق بكر الصواف : المرجع السابق ص ٦١ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٩ ـ ١٥٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

اليونان . وبدا الراك العام فى اوربا اكثر حماسا لمساعدة اليونان وتكونت جمعيات هيلنية فى كل اوربا لمساعدة ثوار اليونان (١) ونتج عن ذلك ان تأثر جورج كاننج وزير خارجية بريطانيا George Canning الذى حلف كاسلريه « Castlereagh » وبدا « كاننج » يخرج عن السياسة التقليدية لانجلترا التى كانت تعنى حماية املاك الدولة العثمانية ضد اى تدخل ، فعل ذلك خوفا من استفادة روسيا من الموقف وتعقد الموقف الدولى بعد توقيع اتفاقية « بروتوكول بطرسبرج » والتى اتفقت روسيا وانجلترا التان وتعاتها على حث تركيا على عقد هدنة مع اليونانيين رغم قدرا من الحكم الذاتى ، ولما طالب اليونانيون تنفيذ هذه الاتفاقية رفضت تركيا ومصر وهنا حاولت روسيا وانجلترا ضم فرنسا اليها وتم ذلك حيث وقع بين الدول الثلاثة اتفاقية فى ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ وقضت شروط هذا الاتفاق التوسط لدى الدولة العثمانية لقبول الهدنة واعطاء الاستقلال الذاتى وكما نصت الاتفاقية على استخدام كل الوسائل التى تمليها الظروف ضد السلطان العثمانى ان رفض تنفيذ ما جاء فى هذه الاتفاقية (٢) .

وفى أغسطس سنة ١٨٢٧ عرضت الدول الثلاثة ( انجلترا وفرنسا وروسيا ) على تركيا واليونان عقد هدنة بينهما ووافقت اليونان ورفضت تركيا وهنا مع الحلفاء عن ابراهيم المؤن والتموين المرسل له الى المورة ودخلت اساطيل الدول الثلاثة المتحالفة خليج Navarino حيث كان يرسى الاسطول المصرى والتركى ولم يمر يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ حتى دارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بتحطيم الاسطول المصرى التركى تماما . ورغم اعتذار الدول للسلطان عما حدث الا أن القدر كان قد ضرب ضربته وقبلت تركيا سياسة الأمر الواقع بالنسبة لليونان (٣) .

---

(١) دكتور محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية مرجع سابق ص ١٤٤ .

(2) Miller, William, The Balkans (1896) P. 97.

(٣) كانت المعركة البحرية فى « نوارين » وحشية وانتهت بعزق معظم سفن الاسطولين المصرى والتركى وما جنح من سفن الاسطول المذكور احرقة الجنود حتى لا يقع اغلبة فى يد الاعداء وبلغ عدد القتلى من المصرين والاتراك ثلاث الاف مقاتل فى حين خسر الحلفاء ١٤٠٠ من القتلى ٣٠٠ من الجرحى .
انظر : اللواء عبد المنصف محمود باشا : ابراهيم الفاتح ط ١ القاهرة ١٩٤٨ ص ١٤٢ .

وكانت هذه الحرب بداية النزاع بين السلطان محمد على لأن محمد على كان يطمع فى مكافأة اكثر من جزيرة كريت وكان محمد على يطمع فى تولية ابنه ابراهيم باشا على الشام ولكن السلطان لم يستجيب لطلبة . مما ادى محمد على أن يرفض مساعدة السلطان فى حربة ضد روسيا وسبب ذلك توتر العلاقة بين الجانبين وبدا محمد على بعد المدة لاعادة بناء الاسطول جديدا بدلا من الاسطول الذى تحطم فى « نوارين » .

وهكذا بدات الحرب بين محمد على والسلطان حيث كان كل منهما يضمر السوء للاخر ، ولكن للحق اتاريخى نقول أن محمد على ضحى كثيرا سنة ١٨٢٧ من اجل الدولة العثمانية (١) . وهذه لم يحاول ان تشعره بالامان ا ان تكافئة بل كان محمد على يشعر أن تركيا لا تفتا تسعى لاسترداد مركزها فى مصر وأن السلطان محمود الثانى كان ينظر الى ما أحرزته مصر من تقدم ومن مكانه بنوع من الحسد والكمد والغيظ .

ومن وجهة نظرنا أن محمد على لما رأى أن السلطان لا يعترف بخدماته ، وأنه لا يقدر له أفعاله بالنسبة للدولة بدأ يتحول من مجرد تابع الى محاولة أن يكون مستقلا وأن يعمل لمصلحته الشخصية ولمصلحة اسرته وذلك ابتداء من سنة ١٩٣٠ .

وبدأت حروب الشام الاولى بين السلطان ومحمد على وأعقبتها حروب الشام الثانية وكانت الانتصارات الرائعة التى حققها الجيش المصرى فى حرب الشام الاولى سببا فى قلق الروسيا بصفة خاصة . ذلك أنه بعد معركة قونية فى ٢١ يناير سنة ١٨٣٣ انفتح الطريق امام جيوشه للسير نحو الاستانة . وكان خوف روسيا من أن تصبح لمحمد على سيطرة على الدولة العثمانية وبالتالى تقوى الدولة ويصبح على حدود اروسيا قوة لا يستهان بها بينما روسيا فى ظل ضعف الامبراطورية العثمانية كان بامكانها أن تنال بالتهديد العديد من الامتيازات وحاولت روسيا التوسط بين محمد على والسطان ورفض محمد على الوساطه وان كان قد وعد الروسيا بأن جيوش ابنه لن تتقدم فى الوقت الحالى — ١٨٣٣ — الى استنابول وفى ذات الوقت عرضت الروسيا على السلطان أن تساعده بارسال أسطول الى مياه البسفور للدفاع عن العصمة التركية ضد الهجوم

---

(١) يكفى أن نقول ان محمد على فقد فى حرب المورة حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل وعشرين مليون فرنك .
انظر : محمد صبرى : المرجع السابق ص ٦٥ .

المصرى المرتقب واضطر السلطان الى قبول عرض الروسيا وفعلا ظهر اسطول روسى قوى فى مياه البوسفور وفى مدة وجيزة من ذلك لم تتجاوز شهر ونصف نزل حوالى ستة آلاف جندى روسى الى الشاطىء الآسيوى المواجة للقسطنطينية ( كان ذلك فى ٥ ابريل بينما كان نزول الاسطول الروسى فى البسفور فى ٢٠ فبراير سنة ١٨٣٣ ) (١) . وقد غضبت انجلترا وفرنسا لسلك **روسيا المنفرد وتعقد الموقف فروسيا لن تسحب جيوشها** طالما ابراهيم باشا فى الاناضول ، وفرنسا وانجلترا لن تسكتا على مسلك روسيا ووجود جيوش واسطول لها فى البحر الاسود . كما ان ابراهيم باشا لن ينسحب الا بعد تحقيق مطالبه وبدات انجلترا وفرنسا تضغط على السلطان لقبول مطالب محمد على واضطر السلطان الى قبول مطالب محمد على وعقدت **معاهدة كوتاهية بين الطرفين ( تركيا ومحمد** على ) فى ١٨ ابريل سنة ١٨٣٣ وبها تنازل السلطان لمحمد على من فلسطين وحلب ودمشق وسائر **بلاد الشام واذن له باحتلال موانى اطنة** .

ولكن السلطان الذى احس أن محمد على سلبه كرامته فضل ان يتعاون مع عدوته التقليدية الروسيا على أن يتفق بحسن نية محمد على ووقع السلطان مع الروسيا معاهدة « انكيار سكليسى » « Unkiar-Skelessi » فى يوم ٨ يوليو سنة ١٨٣٤ وقد تعهدت الدولتان بتبادل المساعدة فى حالة وقوع اعتداء على احداهما . وتضمنت المعاهدة ملحق سرى يقضى باعفاء الباب العالى من اى التزام قبل روسيا مقابل وعد السلطان باغلاق الدردنيل اذا اقتضت الحاجة فى وجه جميع الدول ما عدا الروسيا ، وكانت عبارة عند الحاجة تعنى فى الحقيقة عند طلب روسيا (٢) .

وهكذا فضل السلطان التعاهد مع دولة مسيحيه على ترك مقاديره بين أيدى محمد على ولاشك أن السلطان كان مخطئا فى هذا أشد الخطأ .

وبدأ السلطان يستعد للثأر من محمد على لانه شعر أن أتفاق كوتاهية كان مجحفا به ، وبدأت حرب الشام الثانية بحشد تركيا لجيوشها

---

(١) د. محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ص ١٧٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧١ .

في قرية « نصيبين » وحولها وهى بلدة واقعة فى الاراضى العثمانية على مسيرة ساعات من الحدود التركية السورية وفى ليل ٢٣ يونيو سنة ١٨٣٦ قام الجيش العثمانى بالهجوم ليلا على جيش المصريين ولكن كان ابراهيم باشا متيقظ لتحركات العثمانيين ونجح فى صد الهجوم ولم يلبث هو ان قام بهجوم مضاد فى « نصيبين » وهزم الاتراك هزيمة منكرة وسقط من نحو اربعة آلاف بين قتيل وجريح وأسر ابراهيم نحو الف اسير واستولى المصريون على نحو ٢ الف بندقية ، ٤٤ مدفعا وفى اليوم التالى استولوا على ٣٠ مدفعا فى حصن « بيره جك » وكذلك استولى المصريون على خزينة الجيش التى لم يتمكن الترك من اخذها عند الهزيمة وكان بها حوالى ستة ملايين فرنك (١) . وبلغت خسارة الجيش المصرى حوالى ٤ آلاف ما بين قتيل وجريح ولكن ذلك لا يقارن بالنصر الذى حققه . وكان يجب ان تكون النتيجة المنطقية لمعركة « نصيبين » اقرار ما جاء فى اتفاقية كوتاهية (٢) . ولكن السياسة الاوربية كانت لا تعرف المنطق الا اذا كان فى صالحها فأبت مطامع الدول الاوربية الا أن تتدخل للقضاء على قوة محمد على . ولم يكاد يحل يوم ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ حتى تكون قد أبرمت المعاهدة الشهيرة المعروفة . بمعاهدة « لندرة » بين انجلترا والروسيا وبروسيا وتركيا وهى تقضى بأن يخول محمد على وخلفاؤه حكم مصر الوراثى ويكون له مدة حياته حكم ولاية عكا على أن يدفع جزية سنوية للباب العالى ويكون خاضعا للسلطنة العثمانية وتعد قوات مصر البرية والبحرية جزءا من قوات السلطنة واتفق أن تتكفل الدول الموقعة على هذه المعاهدة تنفيذها بالقوة ان اقتضى الامر . وقد ظن محمد على ان بامكان فرنسا مساعدته بعد أن لوحت له بذلك فرفض الموافقة على الاتفاقية فضاعت منه عكا ولما أدرك واقع السياسة الدولية قبل بمرارة شروط اتفاقية لندن . وظن السلطان انه انتصر على أكبر عدو له وفى الواقع أن الدولة فقدت أكبر أمل لها كان من الممكن انقاذها لو استطاعت الدولة العثمانية أن تستثمره وتضع يده فى يدها لتقوية الامبراطورية العثمانية وبعثها من كبوتها والتى كانت بوادرها قد ظهرت واضحه للعيان .

---

(١) اللواء عبد المنصف محمود باشا : المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٢) البكباش عبد الرحمن زكى : مصر الظافرة ( صفحة فى التاريخ وادى النيل القومى ) القاهرة ١٩٤٦ ص ٦٠ ، محمود كامل : العمل لمصر ( بعث دولة واحياء مجد ) مطبعة الاعتماد بمصر القاهرة ١٩٥١ ص ٨٨ .

واصدر السلطان العثمانى فرمانا فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بجعل ولاية مصر كبقية الولايات فى الدولة وان اختيار الوالى الجديد يتم بواسطة الباب العالى . كما حدد الفرمان المذكور طريقة جباية الضرائب وتوزيعها بواسطة تركيا واخذ الربع منها لخزائنها ولكن محمد على طلب من الدول تخفيف هذه الشروط واضطر السلطان تحت ضغط هذه الدول الى جعل الولاية حق لورثة محمد على الاكبر العائلة سنامن الذكور كما حددت الجزية بـ ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه وبقية الشروط ظلت كما هى . ( مثل تحديد عدد الجيش بـ ١٨ الف جندى وعدم تخويل الوالى الحق فى انشاء السفن الحربية الا بعد الحصول على اذن صريح من الدولة ) وقد صدر التعديل الجديد فى ٢٢ مايو سنة ١٨٤١ .

ان كل الحروب التى خاضها محمد على كانت تحمل ثلاثة اتجاهات (١) : ـ

اولها ـ أن يؤكد للعالم كله عبقرية ذلك المكان الذى أصبح يحكمه وعظمة أولئك الذين يسكنون ارض مصر ووضع التنظيمات التى قام بها موضع اختبار .

ثانيها ـ أنه قد آن الاوان ليجد الاسلام جنديا جديدا يحميه من تطلعات أوربا الغادرة رغم صداقتها الظاهرية للسلطان وكان يتمنى ان ينهم السلطان ومن حوله ذلك وان يساعده على اداء هذا الدور ولكن ضاعت جهوده عبثا .

ثالثها ـ انه كان يريد تأمين مستقبلة واسرته فى حكم دولة مركزها مصر .

ولاشك ان اوربا تعلمت من الدرس الذى لقنه اياها محمد على حيث وقف ضد اطماعها فى تقسيم الرجل المريض كما أن محمد على بحملته على المورة اثار فى الاذهان عظمة الدولة العثمانية وجسارة وبسالة الجندى التركى فى ميادين القتال . ولكن تركيا لم تنس ذلك كله لمحمد على وظلت تربص له وتوقع بينه وبين الدولة العثمانية حتى تم لها ما ارادت .

---

(١) دكتور محمود متولى : المقاتل المصرى فى عصر محمد على
مجلة الموقف العربى المصرية العدد ١٩ نوفمبر ١٩٧٨ ص ٤٥ .

ولاشك ان محمد على لو اراد قلب حكومة الخلافة العثمانية فى مصره لما تعذر عليه ذلك ، فقد كانت الدولة بلا جيش قوى يحكم الدفاع عنها ، كما ان محمد على بامكانه لو اراد مواصلة الزحف بجيوشه نحو القسطنطينية قبل معاهدة السلطان مع الروسيا وكان حينئذ سيضع الراى العام الاسلامى والاوربى امام سياسة الامر الواقع ، كما ان محمد على بانتصاراته المتكررة وبالذات على الوهابيين رفعت من قدره لدى المسلمين ، الم تقمع جيوشه ثورة الاغريق ، الم يستولى على سوريا وهزم جيوش السلطان فى أكثر من موقعة ، الم يصل فى زحفه حتى كوتاهيه ومنها هدد القسطنطية عاصمة الخلافة نفسها .

ولكننا على الرغم من كل هذا نخطىء كثيرا عندما نتصور ان محمد على كان يريد انتزاع الخلافة من يد العثمانيين فمثل هذا الامل لم يدخل فى منهجه السياسى العملى . لقد كان لمحمد على من النظر السياسى الصائب ما جعله يحافظ على علاقاته الرسمية بالدولة العثمانية ضمانا لصيانة أملاكه الواسعة التى فتحها والتى لم تكن فى الحقيقة الا جزءا من الدولة العثمانية التى ما فتئت الدول تعلق لزوم حفظ كيانها .

ولا ننكر أن محمد على كانت له مطامعه الخاصة ولكن تحت ستار الولاء للسلطان . ان محمد على لم ينس قط منشاه دوما وما هو مدين به للسلطان الذى منه استمد حقوقط وقوته ولم تجهل قط مبلغ تمسك الاتراك بأسرة آل عثمان على عرش الخلافة اذ مهما يكن من شأن الاتراك فى منازعتهم وخلع سلاطينهم وتنصيبهم فمن المحقق انهم لم يحاولوا يوما تغيير الاسرة الحاكمة .

وعلى هذا الاساس يمكن أن نصل الى نتيجة ان المخاوف والاوهام التى كانت ملتصقة بالسلطان من ناحية محمد على لم يكن لها أساس . ذلك ان محمد على كان فى النهاية جنديا من جنود السلطان وسيفا من سيوف الاسلام .

ولاشك ان محمد على بتكوينه العقلى وذكائه الفطرى ، لم يقذف بنفسه فى مشروع عالمى كالخلافة تحكمه التقاليد التاريخية قبل كل شىء ، ولم يكن نصيب محمد على من الارث التاريخى حينذاك شيئا مذكورا وكان محمد على فى كل فتوحاته وانتصاراته يأمل أن تجد الدولة العثمانية من قوته ونفوذه واستنارته خير نصير لها وللامم الشرقية الاسلامية بصفة عامة .

وقد ارادت الحكومة الانجليزية ان تستوثق من نياته ( نيات محمد على ) نحو الخـــلافة ، فطلبت الى معتمدهـــا فى مصر الكولونيل كامبل ١٨٣٢ — ١٨٣٩ ) ان ينقب فى سجلات القنصلية عله يعثر على ما يثبت نوايا واتجاهات محمد على نحو الطمع فى الخلافة ولكن كان ذلك على غير جدوى وكتب كامبل الى « باترسون » فى اكتوبر سنة ١٨٣٨ ينفى هـــذا الامر عن محمد على نفيا باتا (١) .

وربما أن بعض المؤرخين انساقوا وراء ما حـــدث فى خـــلال حرب الشام الاولى حيث تبادل محمد على والسلطان محمود الثانى قرارات تدل على شدة التحامل والتسرع وكن لا يمكن ان يعول عليها لانها صدرت فى ظروف استثنائية مؤقته . نذكر من ذلك أن السلطان أصدر قرارا بعزل محمد على وابنه ابراهيم وطردهما بل وصل الامر الى اباحة اهدار دمهما فما كان من محمد على الا أن أمر شريف مكة بأصدار فتوى دينية ضـــد الخليفة الاعظم — على نسق ما كان يجرى فى أوربا فى العصور الوسطى بين الملوك والبابوات — ولقد بلغ السخط على الباب العالى من جانب محمد على أن صرح لبعض ممثلى الدول أنه يود خلع السلطان واجلاس ابنه الصغير ( ابن السلطان ) على عرش الخلافة فيكون هو صـــاحب الوصاية والقوة المحركة للخليفة القاصر ... وكان هذا هو آخر ما وصل اليه محمد على من تطرف أثناء الازمة التى نشبت بينه وبين الســـلطان وهزت عرش الخلافة تماما (٢) .

ولقد كان محمد على يدرك أن دول أوربا لن تسمح له بتقويض أركان الدولة العثمانيـــة . لأن هـــذه الدول جميعـــا كانت ترفض أن تحـــل محلها دولة قوية شابة يقودها تحت رحمة القيصر وما كانت لتعضد عنصرا ناهضـــا مثل محمد على وقد كتب الكونت « نسلرود » رئيس حكومة روسيا فى ذلك الوقت الى السفير الروسى فى القسطنطينية يقول :

السفير الروسى فى القسطنطينية يقول :
« يجب الا يصل محمد على الى القسطنطينية ويقلب نظام المحكـــم فيها ، فمثل هذا العمل لا يتفق مع مصالح حكومة القيصر وأغراضها »

---

(١) محمد رفعت : تاريخ مصر السياسى فى الازمنة الحديثة ط٢ القـــاهرة ١٩٢٦ ص ٢٨٤ .

(٢) محمد رفعت : محمد على والخلافة مجلة المقتطف المطرية عدد نوفمبر سنة ١٩٢٣ .

فان محمد على اذذا وطد ولكن ملكه فى الاستانة كان منه حصن منيع وقوة لا يستهان بها امام روسيا بدلا من جار ضعيف منهزم » (١)

وقد ارتبطت النمسا فى سياستها مع الروسيا للعمل معا ضد محمد على ومحاولاته بعث القوة العثمانية وبالنسبة لانجلترا فانها بالطبع لم تكن تود أن ترى محمد على عقبة فى طريقها الى الهند ولكن انجلترا كانت ترى فى محمد على عدوا اهون من الروسيا ، ولهذا السبب تضامنت انجلترا مع فرنسا لاجبار السلطان على توقيع معاهدة كوتاهية والاستجابة لمطالب محمد على فى سنة ١٨٣٣ . ولهذا السبب ايضا ادلى بالمرستون وزير خارجية انجلترا لسفيره فى القسطنطينية بتصريح هام قال فيه : (٢)

« اذا اضطررنا يوما ان نختار احد امرين .. اما الاستيلاء على القطنطينية من جانب محمد على او جعلها تحت نفوذ روسيا فلا يكون فى وسعنا الا أن نختار الامر الاول » وكان لهذا التصريح وقع الصاعقة على الروسيا والنمسا ... فقد كان اول تصريح من جانب الانجليز فى صالح محمد على . وبلغ من خوف مترنيخ مستشار النمسا انه كتب على اثر علمه بهذا التصريح الى بالمرستون لعدم اذاعة هذا التصريح حتى لا يصل الى علم محمد على فيتشجع ويجدد عدائه للسلطان ولكن بريطانيا اثبتت **انها جادة فى هذا التصريح فكتب بالمرستون الى سفيره فى بطرسبرج** يقول :

« ولو انه لا يوافق الحكومة الروسية أن ترى محمد على على راس الدولة العلية لانها تخشى همته ، ونشاطه فان انجلترا ترى انه خير لاوربا ومصالحها ان يحكم الدولة حاكم قوى مستقل من ان يكون السلطان آلة فى يد الروسيا تحركها كيف شاءت(٣) .

ولما نشبت الحرب الشامية الثانية بين محمد على والسلطان سنة ١٨٣٩ صرح « بالمرستون » لسفير فرنسا فى انجلترا : —

« انه كان يروم من صميم فؤاداه أن يرى محمد على حتى فى منصب

---

(١) محمد رفعت : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٢) Foreign office, From Palmarston to Pensinipi, 6 decem ber 1833

(٣) Foreign office, From Palmarston to his ambassndor at Rossia February 1834

الخلافة لو أن له من الخصال وحوله من العقاليد ما يضمن بقاء الدولة وتمسكها فى المستقبل » (١) .

لقد كان محمد على شخصية فـذة فى تاريخ الامبراطورية العثمانية والعالم العربى والاسلامى حيث قال عنه السير شارلس مرى والذى كان يعمل قنصلا لانجلترا فى عهدة : _

« لم ير العالم الاسلامى منذ انقراض الدولة العربية فى الاندلس حاكما يضارع محمد على فى جليل اعماله فهو يماثل صلاح الدين فى عدلة ويفوق اشهر الخلفاء فى بغداد من خبرته ، وبالرغم من النقص الذى كان يعانيه نظام الشرطة ومما كان يحتمله الاهلون من الضرائب ، كان امن شيخ فيهم لا بذكر وقتـا يدانى عصر محمد على فى اســـتتباب الامن واستفاضة الرخاء » .

« وأقل ما نقال عنه انه وجد بين يديـــه فوضى فاســـتخلص منها نظاما ، ولئن كان فى حكمه ظالما مستبدا ، فلقد يشفع له انه اغدق عليها الامن مما لم تتمتع به منذ دهور عديدة » (١) .

الحقيقة أن عوامل كثيرة تضافرت لتشويه صورة محمد على امام السلطان العثمانى وهيأته له على انه يريد ان ينازعه الملك وان يستولى على الخلافة لنفسه ولكن ثبت أن ذلك كان خط تاريخيا وقع فيه آل عثمان وفى حين انه كان من المســتطاع ان يغير محمد على حكومـــة الخلافـــة الاسلامية الا انه كأمير مسلم عثمانى صميم طأطأ الرأس امـــام سرير الخلافة العظمى فلم يمسها بسوء وظل الى النهاية يقدس مقام الخلافـــة ويلبى مطالب الدولة ويبادر الى انقاذها من الهاوية .

ولو ان السلطان العثمانى نجح فى اقامة جسر بينه وبين محمد على من الثقة والتعاون لكانت الدولة قد وجـــدت منقذا لها يمـــلك العبقرية العسكرية وكان يمكن ان يحميها خاصة وانها كانت تملك ايضا من القدرة والادارية ما يرتفع حضاريا ويجعلها تلحق ركب التطور والنمو ... ولكن

---

(١) محمد رفعت : المرجع السابق ص ٢٨٧ .

(٢) ابراهيم زكى بك : « الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهد الحملة الفرنساوية ومحمد على » .
المطبعة العصرية بمصر ص ١١٢

شاعت الاقدار الحزينة صدام السلطنة باحد رعاياها المخلصين والذى ظل يلبى مطالبها حتى شعر بالاحجاف لنكران فضله ومن ثم بدا يبحث عن نفسه ويفكر فى مصالحة بصورة اكثر انتهازية .

بقى أن نقول ان العلاقات بين الدولة العثمانية والنظام الحاكم فى مصر تحت زعامة محمد على كانت صراعا بين رجلين فى واقع الامر ، تشابهت ظروفهما الى حد ما ولكن تناقضات صفاتهما وشخصيا هى التى حددت نهاية وأبعاد هذا الصراع : —

١ — لقد كان هذا الصراع بين محمد على وبين السلطان محمود الثانى ( ١٨٠٨ — ١٨٣٩ ) وقد تولى كل منهما السلطة منفردا وان كانت صعوبات محمود الثانى ومشكلاته أعقد بكثير من تلك التى واجهها محمد على .

٢ — ان كل من الرجلين انتهى بمأساة ، فالسلطان محمود الثانى مات حزينا بالسكته القلبية عندما وصلته أنباء هزيمة جيوشه أمام ابراهيم باشا وتسليم أسطوله لمحمد على الى درجة أنه قيل أن الدولة العثمانية فقدت فى عام واحد ( ١٨٣٩ ) أسطولها وجيشها وسلطانها .

أما مأساة محمد على فهى أن آماله قد ضاعت برغم انتصاراته وتضحياته وذلك بسبب تدخل الدول الكبرى التى نصرت تركيا عليه وأجبرته على أن يقبع فى حدود مصر وسلبته حق تكوين جيش أو أسطول كما يريد بل وحددت علاقاته بالدولة العثمانية على أساس أنه تابع ممتازا لها يدفع لها أيضا جزية .

٣ — أن كلا من النظامين فى عهدهما ( النظام المصرى والنظام العثمانى ) خلال هذه الفترة كانا بصدد القيام بتجديدات وأصلاحات جذريه لنظام دولته ، وقد استعار محمد على الكثير من الاساليب الغربية وارسل البعثات الى أوربا ، وقد حاول السلطان محمود الثانى نفس الشىء فقام بالقضاء على نظام الانكشارية سنة ١٨٢٦ وبدأ يكون جيشا جديدا ، كما أنه حاول ادخال نظم ادارية جديدة على النسق الغربى ولكن ثبت أن المصريين كانوا اكثر استيعابا للاسلوب الغربى اكثر من العثمانيين . ومن هنا كانت الغلبة والنصرة للجانب الاكثر استيعابا لاساليب التقنية . ولعل احد معوقات التنظيمات التى حاول محمود الثانى

ادخالها كانه تأتى من جانب العلماء ومشايخ الدين . يضاف الى هـذا بعض المنتفعين من بقاء الحال على ما هو عليه .

٤ ـ الصفات التى اتسم بها كلا الرجـلين فبينهما محمد على كان داهية فى الحرب والسياسة ورزق بمجموعة من الرجال المخلصين كان على راسهم ابنه ابراهيم باشا العبقرية العسكرية الخالدة والذى لم يكن يدانيه أى قائد عثمانى ، رزق محمود الثانى بمجموعـة من الانتهازيين والمرتشين والذين لم تكن لديهم الحماسة للمساهمة فى اعلاء شأن الدولة .

٥ ـ اتسمت مرحلة العلاقـات بالتدخل الـدولى فيها بحيث أن العلاقات المصرية التركية فى هذه الفترة اصبحت دولية اكثر منها محليـة ولم يكن التدخل الاوربى لصالح تركيا كما يظـن البعض بل ان الـذو تعمدت القضاء على محمد على وهو أكبر وأقوى شخصيه كان بامكانهـا انقاذ الدولة العثمانية ولكنهـا حطمت العلاقات بينه وبين السـلطان وأوغرت صدر السلطان عليه وظلت تدس بعض الدسائس بينهما وتوهم السلطان بمخاوف لا أساس لها من الصحة من ناحية نوايا محمد على قبل دولة الخلافة ولم يكن هدف أوربا الا أن تظل الدولة العثمانية ضعيفة تقتطع منها ما تشاء . وتتجنب المشاكل الناجمة عن بعث الحركة فيها وء نظهور قوتها .

وهكذا لو تحالف المسلمان ... كصديقان ... ولو اسـتمع كل منهما الى منطق التاريخ لكانت قـد جرت فى الامـور أشـياء ولتغيرت صفحات التاريخ ... ولكن هكذا شاءت الاقدار والتى لاراد لمشيئتها .. الا أنها ولاشك كانت الاقدار الحزينة هى التى أضـاعت هذه الفرصـة النهضة والبعث بالنسبة للعالم الاسلامى ومن خلال أحد ولاة الـدولة العثمانية العظام ... الا وهو محمد على الذى كان القضاء على آمالـه مقدمه طبيعية لسقوط الدولة العثمانية فريسه فى يد الاطماع الاستعمارية الاوربية واحقاقا للحق لما كان قد بقى منها ...

# المراجع والمصادر

## ملاحق البحث

**ملحق رقم (١)**

**جدول سلاطين آل عثمان منذ نشأة الدولة حتى سقوط السلطنة والخـــلافة .**

**ملحق رقم (٢)**

**جدول بالحوادث الرئيسية فى تاريخ الـــدولة العثمانية خـــلال القرن الـــ ١٩ واوائل القرن الـــ ٢٠ .**

**ملحق رقم (٣)**

**جدول بالاحـــداث خلال عهـــد محمد على**

# مكتبة التاريخ العثمانى

## ملحق رقم ١ « سلاطين آل عثمان منذ نشاة الدولة حتى سقوط » « الخـــلافة والســـلطنة »

| اسم السلطان | تاريخ ميلاده | تاريخ ولايته | تاريخ وفاته | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ١ — عثمان الاول | ١٢٥٨ | ١٢٩٩ | ١٣٢٦ | خلف والده على الامارة فى ســـنة ١٢٨٨ ثم اعـــلن استقلاله ١٣٠٠ . |
| ٢ — اورخان بن عثمان | ١٢٨١ | ١٣٢٦ | ١٣٦٠ | مصلح ادارى واول من احتل جزءا من اوربا . |
| ٣ — مراد بن اورخان | ١٣٢٥ | ١٣٦٠ | ١٣٨٨ | يعرف باسم « خداوندكار » توسع فى اوربا ايضا . |
| ٤ — بايزيد بن مراد | ١٣٦٠ | ١٣٨٨ | ١٤٠٣ | يعرف باسم « ييلديرم بايزيد اول من باشر عادة قتل الاخوة ومارس رفاهية الملوك . |
| ٥ — محمد بن بايزيد | ١٣٧٩ | ١٤١٣ | ١٤٢١ | لقب جلبى محمد وهو الذى اعاد تكوين السلطنة بعد ان قضى عليها « تيمور لنك » . |
| ٦ — مراد الثانى ابن محمد | ١٤٠٣ | ١٤٢١ | ١٤٥١ | حدث فى عهده اول انكسار عظيم للدولة اصابها فى حرب النمسا . |
| ٧ — محمد الثانى بن مراد الثانى | ١٤٢٩ | ١٤٥١ | ١٤٨١ | يلقب باسم محمد الفاتح وقد فتح مدينة القسطنطينية وقضى على الدولة البيزنطية . |
| ٨ — بايزيد الثانى بن محمد الثانى | ١٤٤٧ | ١٤٨١ | ١٥١٢ | شعرت أوربا بميله للسلم فبادرت لمهادنته . |
| ٩ — سليم الأول ابن بايزيد | ١٤٧٠ | ١٥١٢ | ١٥٢٠ | وهو ياوز سليم الذى فتح الاقطار العربية واستخلص لقب الخلافة له ولخلفائه . |
| ١٠ — سليمان بن سليم الاول | ١٤٩٤ | ١٥٢٠ | ١٥٦٦ | الملقب باسم سليمان القانونى لوضعة النظام القانونية للدولة . |
| ١١ — سليم الثانى ابن سليمان | ١٥٣٢ | ١٥٦٦ | ١٥٧٤ | اول سلطان لم يكن كفؤا فعاش متخنثا |

| اسم السلطان | تاريخ ميلاده | تاريخ ولايته | تاريخ وفاته | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ١٢ ــ مراد الثالث بن سليم | ١٥٤٦ | ١٥٧٤ | ١٥٩٦ | ظهر فى عهده الاغطاط بصورة جلية . |
| ١٣ ــ محمد الثالث بن مراد | ١٥٦٦ | ١٥٩٦ | ١٦٠٣ | اختل الجيش فى حكمة بالدخلاء وفسدت الانكيـــارية فى عهده . |
| ١٤ ــ أحمد لاول بن محمد | ١٥٩٢ | ١٦١٧ | ١٦١٧ | أول من استبقى على الاخوة فى وراثة العرش فصار العرش يتنقل الى غير الابناء ، واوصى الى اخية بالملك فصار التوارث على قاعدة الارشد فالارشد . |
| ١٥ ــ مصطفى الأول بن محمد | ١٥٩٢ | ١٦١٧ | ١٦٢٢ | اعدمه الانكشارية لعزمة على ابادنهم . |
| ١٦ ــ عثمان الثانى ابن أحمد | ١٦٠٤ | ١٦١٨ | ١٦٣٩ | خلع فى سنة ١٦١٨ ثم أعيد فى سنة ١٦٢٢ ثم خلع مرة ثانية فى سنة ١٦٢٣ . |
| ١٧ ــ مراد الرابع ابن احمد | ١٦٠٩ | ١٦٢٣ | ١٦٤٠ | أول من مات دون انجاب . |
| ١٨ ــ ابراهيم الاول ابن احمد | ١٦١٥ | ١٦٤٠ | ١٦٤٨ | أول من جهر السفن « المراكب » الحربية بالمدافع وقد مات مقتولا مخنوقا من الانكشارية . |
| ١٩ ــ محمد الرابع بن ابراهيم | ١٦٤٧ | ١٦٤٨ | ١٦٩٢ | آخر من حاصر فينا من السلاطين وفى عهده هزمت تركيا وقد خلع فى سنة ١٦٨٧ . |
| ٢٠ ــ سليمان الثانى ابن ابراهيم | ١٦٤٢ | ١٦٨٧ | ١٦٦١ | رجاه الناس لقبول السلطنة بعد خلع أخية وكانت له اهتمامات علمية . |
| ٢١ ــ احمد الثانى ابن ابراهيم | ١٦٤٣ | ١٦٩١ | ١٦٦٥ | أول من قسم الجزية الى ثلاث درجات وكانت درجـــة واحدة . |

| اسم السلطان | تاريخ ميلاده | تاريخ ولايته | تاريخ وفاته | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ٢٢ — مصطفى الثانى ابن محمد الرابع | ١٦٦٤ | ١٦٩٥ | ١٧٠٣ | خسرت تركيا فى عهدة المجر وقد انتهى الامر بخلعه فى سنة ١٧٠٣ . |
| ٢٣ — أحمد الثالث ابن محمد | ١٦٧٣ | ١٧٠٣ | ١٧٣٦ | أول من اسس دار للطباعة فى تركيا وقد خلع فى سنة ١٧٣٠ . |
| ٢٤ — محمود الاول ابن مصطفى | ١٦٩٦ | ١٧٣٠ | ١٧٥٤ | اسمى مفتى استانبول شيخ الاسلام . |
| ٢٥ — عثمان الثالث ابن مصطفى | ١٦٩٦ | ١٧٥٤ | ١٧٥٧ | حاول القيام ببعض الاصلاحات الاخلاقية . |
| ٢٦ — مصطفى الثالث ابن أحمد | ١٧٢٦ | ١٧٥٧ | ١٧٧٤ | اسس مدارس الفنون الحربية وانشأ المحاجر الصحية |
| ٢٧ — عبد الحميد الاول ابن أحمد | ١٧٢٤ | ١٧٧٤ | ١٧٨٩ | خسر الفرم وكان أول من اطلق الحرية لولى العهد حيث كان من قبله سجينا مراقبا . |
| ٢٨ — سليم الثالث ابن مصطفى | ١٧٦٢ | ١٧٨٩ | ١٨٠٨ | حاول تنظيم الجيش العثمانى على النسق الحديث فواجة معارضة وخلع نتيجة لذلك سنة ١٨٠٧ . |
| ٢٩ — مصطفى الرابع | ١٧٧٦ | ١٨٠٧ | ١٨٠٨ | قتل بعد عام فقط من تولية السلطنة . |
| ٣٠ — محمود الثانى بن عبد الحميد | ١٧٨٤ | ١٨٠٨ | ١٨٣٩ | أباد الانكشارية واسس دار الطب ثم قام باصلاح احوال العسكرية العثمانية . |
| ٣١ — عبد المجيد الاول بن محمود | ١٧٨٤ | ١٨٠٨ | ١٨٦١ | كان اول من اقترض من أوربا وقد جعل التجنيد اجباريا كما بدأ القيام ببعض التنظيمات . |
| ٣٢ — عبد العزيز ابن محمود | ١٨٣٠ | ١٨٦١ | ١٨٧٦ | منح الشركات الاوربية الكثير من الامتيازات وقد خلع من العرش فى سنة ١٨٧٦ وظلت تلاحقة المدسائس حتى مات منتحرا . |

| اسم السلطان | تاريخ ميلاده | تاريخ ولايته | تاريخ وفاته | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| ٣٣ ــ مراد الخامس بن عبد المجيد | ١٨٤٠ | ١٨٧٦ | ١٩٠٤ | خلع من العرش فى سنة ولايتة بعد أن اتهم بالجنون وبخلل فى عقلة . |
| ٣٤ ــ عبد الحميد الثانى بن عبدالمجيد | ٨٤٤ | ١٨٧٦ | ١٩١٨ | اعلن الدستور اولا ثم الغاه وحكم حكما مطلقا وقد عزل فى سنة ١٩٠٩ . |
| ٣٥ ــ محمد الخامس ابن عبد المجيد | ١٨٤٤ | ١٩٠٩ | ١٩١٨ | عاصر الحرب العالمية الاولى وقد سيطر عليه الاتحاديون تماما . |
| ٣٦ ــ محمد السادس ابن عبدالمجيد | ١٨٦١ | ١٩١٨ | | اقاله مصطفى كمال اتاتورك من منصبه فى سنة ١٩٢٢ |
| ٣٧ ــ عبد المجيد ابن عبد العزيز | ١٨٦٩ | ١٩١١ | | آخر السلاطين العثمانيين وكانت له سلطات دينية فقط وقد طرد من منصبه بعد الغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ من تركيا . |

## جدول بالحوادث الرئيسية فى تاريخ الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين

| | |
|---|---|
| ١٨٠٩ — ١٨٣٩ | السلطان محمود الثانى — جد السلطان عبد الحميد الثانى . |
| ١٨٠٩ — ١٨١٢ | حروب روسيا وضياع بعض |
| ١٨٢٨ — ١٨٢٩ | الممتلكات . |
| ١٨٢٦ | تسريح الانكشارية . |
| ١٨٣٠ | ضياع الجزائر واحتلال فرنسا لها |
| ١٨٣٢ | استقلال اليونان نهائيا بعض المحاولات لاصلاح الادارة والتعليم . |
| ١٨٣٩ — ١٨٦١ | السلطان عبد المجيد — والد السلطان عبد الحميد الثانى . |
| ١٨٤٠ | محاولات اصلاحية على نظم حرة . |
| ١٨٤١ | لقب الباشا فى مصر يصبح وراثيا وتمتعها بوضع خاص فى الدولة . |
| ١٨٤٢ | ميلاد عبد الحميد الثانى . |
| ١٨٤٣ | اقتراح روسيا لتقسيم تركيا ( مصر وجزيرة كريت لانجلترا ، مقاطعات البلقان يعلن استقلالها الذاتى تحت الحماية الروسية ، والقسطنطينية مدينة حرة ) . |
| ١٨٥٤ — ١٨٥٥ | حرب القرم . |
| ١٨٦١ — ١٨٧٦ | السلطان عبد العزيز — عم عبد الحميد الثانى . |
| ١٨٦٢ | رومانيا تمنح امارة وراثية . |
| ١٨٦٧ | زيارة السلطان وأولاد أخيه مراد وعبد الحميد للمعرض العالمى بباريس . |
| ١٨٦٩ | زيارة السلطان لانجلترا . |
| ١٨٦٩ | افتتاح قناة السويس . |
| ١٨٧٦ | ثورات وخداع فى بلغاريا . |
| ١٨٧٦ — ١٩٠٨ | السلطان عبد الحميد ( آخر السلاطين العظام ) . |

| | |
|---|---|
| ١٨٧٧ | الحرب مع روسيا وضياع بعض الأراضى البلقانية . |
| ١٨٨١ | ثورة عرابى فى مصر . |
| ١٨٨٢ | دخول القوات البريطانية مصر واحتلالها . |
| ١٨٨٥ | مذابح الأرمن . |
| ١٨٩٤ — ١٨٩٥ | مذابح أرمنية اخرى . |
| ١٨٩٥ | اقتراحات أوربية لاصلاح تركيا . |
| ١٨٩٧ | الحرب مع اليونان . |
| ١٨٩٨ | زيارة امبراطور ألمانيا لتركيا . |
| ١٨٩٩ | امتياز سكة حديد بغداد يمنح لالمانيا . |
| ١٩٠٣ | الثورة فى مقدونيا . |
| | اقتراحات روسية نمساوية لاصلاح تركيا . |
| ١٩٠٨ | اجتماع قيصر روسيا مع ملك الانجليز فى ريفال ثورة حزب تركيا الفتاة . |
| ١٩٠٩ | خلع السلطان عبد الحمند ونفيه الى سلانيك . |
| ١٩١٨ | وفاة السلطان عبد الحميد . |
| ١٩٢٤ | الغاء الخلافة العثمانية من تركيا وفصل الدين من الدولة . |

## ملحق رقم ( ٣ )

## جـــدول بالأحداث خـــلال عهد محمد على

## جـــدول بالأحداث خـــلال عهد محمد على

| | هـ | م |
|---|---|---|
| محمد على باشـــــا | ١١٨٣ — ١٢٦٥ | ١٧٦٩ — ١٨٤٩ |
| ا — نشأته ونهوضـــه | ١١٨٣ — ١٢٢٠ | ١٧٦٩ — ١٨٠٥ |
| مولد محمد على فى قـــولة | ١١٨٣ | ١٧٦٩ |
| قدومه الى مصر فى واقعة ابو قير البرية | ١٢١٣ | ١٧٩٩ |
| وعد نابليون بونابرت لليهود | | ١٧٩٩ |
| قدومه الى مصر وقت حملة ابركرومبى | ١٢١٥ | ١٨٠١ |
| تولية خسرو على مصر من قبل الباب العالى | ١٢١٦ | ١٨٠١ |
| نزاع بين خسرو والمماليك وبينه وبين الجنود العثمانية يظهر فيه محمد على تدريجا وينتهى بهروب خسرو الى دمياط | | |
| معاهدة الصلح بين فرنســـا والباب العالى | | ١٨٠٢ |
| الاهالى يختارون طاهر باشا خلفا لخسرو | ١٢١٨ | ١٨٠٣ |
| وفاة أحمد باشا الجزار وانتهـــاء حكمه فى الشام مقتله بعد ٢٢ عاما | | ١٨٠٤ |
| محمد على يصبح رئيس الجنود الالبانية فى مصر | | |
| اتحاد مع البرديسى على خسرو — مداخله والى | | |
| ينبع — أخذ خسرو سجينا الى القاهرة | | |
| تولية على باشـــا الجزائرى | ربيع الاول ،، | يولية ،، |
| البرديسى يحتال حتى يقتله | شوال ،، | يناير ١٨٠٤ |
| وصـــــول الألفى بعد أن مكث بانجلترا | | |
| وصول الألفى بعد أن مكث بانجلترا سنتين | | |
| اتحاد محمد على والبرديسى على الألفى | | |
| فرار الألفى الىســـورية | | |
| تظاهر محمد على بالخضـــوع للدولة وتأليبه الأهالى على البرديسى ومهاجمتـــه اياه وطرده هو وابراهيم بك الى الشام | | |
| تولية خورشيد باشا على ضعفة وتمرد الجند عليه والتجاء الاهالى الى محمد على | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| بقاء محمد على بمصر رغم ارادة الدولة ـ اتفاقية مع الدلاة | هـ | | م |
| محاصرته خورشيد باشا بالقلعة ( برغبة الاهالى | صفر | ١٢٢٠ | مايو ١٨٠٥ |
| اختيار الاهالى محمد على واليا على مصر موافقة الباب العالى على ذلك | ربيع الثانى | ١٢٢٠ | يولية ١٨٠٥ |
| ٢ ـ توطيد سلطنة فى مصر اول فتك بالمماليك | ١٢٢٠ ـ ١٢٢٦ | | ١٨٠٥ ـ ١٨١١ |
| الباب العالى يحاول ابعاد محمد على عن مصر ـ تظلم الاهالى ووصول مهد بتأييدة فى الولاية | جمادى الثانية | ١٢٢٠ | اغسطس |
| اتحاد البرديسى والالفى عليه موت البرديسى | شعبان | ١٢٢١ | نوفمبر ١٨٠٦ |
| ( تنظيمات ) سليم الثالث وبدء الاصلاح على الطريقة الفرنسية | ١٢٢١ | | ١٨٠٦ |
| موت الالفى | ١٢٢١ | | ١٨٠٧ |
| وصول الحملة الانجليزى الى مصر لتأييد سلطة المماليك | | | |
| استيلاء الحملة على الاسكندرية ـ رجوع محمد على من مطاردة المماليك بالصعيد وهزيمة الانجليز عند الحماد ـ عقد شروط الصلح مع محمد على وترك الانجليز البلاد | رجب | ١٢٢٢ | سبتمبر ١٨٠٧ |
| رضاء الباب العالى عن محمد على والانعام عليه وفك عقال ابراهيم ابنه | | | |
| خوف محمد على من المماليك والعمل على الفتك بهم ـ هزمهم عند اسيوط ـ انتشارهم فى طول البلاد وعرضها . | | | |
| استرضاء محمد على للمماليك وعقد مهادنة معهم تدبير المماليك الكيد لمحمد على وهو راجع من السويس ووقوف محمد على على ذلك ـ فتك محمد على بالمماليك فى مذبحة القلعة . | ١٢٢٥ | | ١٨١٠ |
| | صفر | ١٢٢٦ | فبراير ١٨١١ |

| | هـ | م |
|---|---|---|
| ٣ – الحروب الوهابية | ١٢٢٦ – ١٢٣٥ | ١٨١١ – ١٨١٩ |

مولد ابن عبد الوهاب صاحب المذهب الوهابى بالعيينة من اقليم المعارض ( مذهب الوهابين يوافق مذهب اهل السنة الصحيحة )

حماية محمد بن سعود لابن عبد الوهاب وتشجيعة على نشر مذهبه .

| | | |
|---|---|---|
| وفاة ابن عبد الوهاب | ١٢٠١ | ١٧٨٧ |
| امتداد سلطان اولاد سعود على جميع بلاد نجد . | ١١٥٩ – ١٢٠٦ | ١٧٤٦ – ١٧٩١ |
| قلق شريف مكة من انتشار المذهب الوهابى وتجريدة حملة على عبد العزيز | ١٢١٣ | ١٧٩٨ |
| قبول الحملة والعمل على نشر المذهب فى وادى الفرات – هزم والى بغداد لعبد العزيز بن سعود . | | |
| مهاجمة بن سعود كربلاء وتخريبها | ١٢١٦ | ١٨٠١ |
| دخول عبد العزيز مكة فى العام التالى بدون معارضة الشريف | | |
| قتل عبد العزيز وتولية سعود الثانى وهو أعظم رجال هذه الاسرة . | | |
| تشديد سعود الثانى فى جمع الضرائب حتى اضربت الناس عن الحج . | ١٢٢١ | ١٨٠٦ |
| تجريد محمد على حملة على الوهابين بأمر الباب العالى . | | |
| وصول طوسون الى ينبع وانهزامه عند الجديدة وهرب جنده | ١٢٢٧ | ١٨١٢ |
| وصول المدد الى طوسون وفتحه المدينة وارسال مفاتيح الكعبة والحجرة النبوية الى والده . | | |
| مطاردة طوسون الوهابين وانهزامه عند طربة . | | |
| سفر محمد على الى الاقطار الحجازية عند سماعه بهذه النكبة لتولية القيادة بنفسه | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وفاة سعود الثانى وتضعضع الوهابين | ١٢٢٩ | | ١٨١٤ |
| انهزام خلفه عبد الله سعود عند بيسل ـ عودة محمد على لوقوع قلاقل داخلية فى مصر . | ١٢٣٠ | | ١٨١٥ |
| عودة طوسون عند سماعة بتلك القلاقل ـ موته فجأة | | | |
| نقض الوهابين شروط الصلح التى عقدها طوسون قبل عودته معهم | | | |
| تجريد حملة الى بلاد العرب بقيادة ابراهيم باشا للقضاء على الوهابين | ١٢٣١ | شوال | ١٨١٦ |
| هزيمة ابراهيم عند الريس | ١٢٣٢ | | ١٨١٧ |
| حصارة الدرعية وتسليم عند الله له وامرة بتخريب البلد | | الد ـ ذى القعدة | |
| مقتل عبد الله بالاستانة | ١٢٣٣ | | ١٨١٨ |
| ٤ ـ فتح السودان | ١٢٣٥ ـ ١٢٣٩ | | ١٨٢٠ ـ ١٨٢٣ |
| عزم محمد على على فتح السودان لاسباب مادية وسياسية ـ | | | |
| تجريدة حملة للاستيلاء على سنيوة | جمادى ا ١٢٣٥ | فبراير | ١٨٢٠ |
| سير حملة السودان من القاهرة بقيادة اسماعيل | شوال ١٢٣٥ | يولية | ١٨٢٠ |
| قرار المماليك من دنقلة وتشتتهم عندما سمعوا بمجىء اسماعيل | | | |
| سحق اسماعيل عرب الشائقية فى كرنى | | | |
| فتحة بربر | جمادى ٢ ١٢٣٦ | مارس | ١٨٢١ |
| فتح شندى وسنار ومرض الجيش اثناء اقامة اسماعيل بسنار | | | |
| وصول اسماعيل فى زحفه الى نتومان دعوة ابراهيم الى مصر لمرضة بعد ان وصل الى جبل دنكا . | | | |
| وصول مدد بقادة محمد بك الدفتر دار لغزو كردفان | ١٢٣٧ | | ١٨٢٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | هـ | | م |
| هزمة بعض القبائل عند بارا واستيلاؤه على الابيض | | | |
| انتقام الدفتردار من نمر لحرقة اسماعيل بحرق شندى . | | | |
| بنـــاء الخرطوم وجعلهـــا حاضرة للبـــلاد السودانية | ١٢٣٨ | | ١٨٢٣ |
| ٥ — حرب اليونان | ١٢٣٩ — ١٢٤٥ | | ١٨٢٣ — ١٨٢٩ |
| شبوب نار الثورة فى جنوب ايطاليا واسبانيا وبلاد اليونان | ١٢٣٥ — ١٢٣٦ | | ١٨٢٠ — ١٨٢١ |
| اعلان اليونان الحـــرب على الترك لنيـــل استقلالها وعدم مساعدة الدول لها | | | |
| انتصار اليونان فى بادىء الامر واســـتنجاد السلطان بمحمد على على قمع الفتنة | | | |
| معاهدة ارضروم الاولى | | | |
| توليـــة محمد على على جـــزيرة اقريطش ( كريت ) | ١٢٣٩ | | ١٨٢٣ |
| تولية محمد على على بلاد المورة | ١٢٣٩ | | ١٨٢٤ |
| اقلاع الجيش المصرى من الاسكندرية الى بلاد اليونان | ذى القعدة ١٢٣٩ | يولية | ١٨٢٤ |
| نزول الجيش المصرى فى مودن | شعبان ١٢٤٠ | فبراير | ١٨٢٥ |
| اخضاع بلاد المورة واســـتيلاء ابراهيم على أمهات المدن فيهـــا | | | |
| حصار مسولونجى وتسليمها | رمضان ١٢٤١ | ابريل | ١٨٢٦ |
| قيام الثورة فى بلاد المورة ثانيا واخضاعهـــا | | | |
| فتح رشيد باشا مدينة أثينا | | | |
| استياء دول أوربا العظمى من فظائع ابراهيم وعقدهم مؤتمرا لذلك فى لندن | ذى القعدة ١٢٤١ | يولية | ١٨٢٦ |
| اقرار المؤتمر على ارسال عمارة بحرية تعهد القيادة العامة فيها لكدربختون | | | |
| اشتباك العمارة المصرية التركية مع اساطيل الحلفـــاء . | | | |
| فى خليج نوارين وتدمير العمـــارة المصريـــة التركية المحرم | ١٢٤٣ | اغسطس | ١٨٢٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| احتلال فرنسا لبلاد المورة بعد رفض البرلمان الانجليزى الاشتراك معهـا | صفر ١٢٤٤ | اغسطس ١٨٢٨ |
| ظهور الاسطول الانجليزى فى المياه المصرية وتهديده محمد على | | |
| اتفاق محمد على مع الانجليز على اخلاء بلاد المورة | | |
| اخلاء ابراهيم بلاد المـورة | ربيع الاول ١٢٤٤ | اكتوبر ١٨٢٨ |
| تصميم السلطـان محمود علـى رفضه | | |
| تحرير اليونان | | |
| واعلان الوسيا الحرب عليه لذلك | ١٢٤٥ | ١٨٢٩ |
| انهزام الترك أمام الروس واضطرارهم لعقد معاهدة أدرنة واقرارهم فيها علـى تحريـر اليونان | ١٢٤٥ | ١٨٢٩ |
| بدء الاطماع الاوربية واحتلال فرنسا واحتلال فرنسا للجزائر | | ١٨٣٠ |
| ٦ ـ حـرب الشـام | ١٢٤٧ ـ ١٢٥٦ | ١٨٣٢ ـ ١٨٤١ |
| أستياء محمد على من الباب العالى لعـدم مكافأة على مساعدته فى حرب المورة لأسباب أخـرى | ١٢٤٥ | ١٨٧٩ |
| ابتداء اسـتعداد محمد على للحملة علـى الشـام | | |
| خروج الحملة بعد تأخرها . | جمادى ١ ١٢٤٧ | نوفمبر ١٨٣١ |
| زحف الجيش البرى واستيلاؤه على غـزه ويافـا | | |
| حصار عكة وسقوطها فى يد ابراهيم | ذى الحجة ١٢٤٧ | مايو ١٨٣٢ |
| اصدار الباب العالى أمرا بخلع محمد على أثناء حصار عكـة | 〃 〃 〃 | ـ |
| | ١٦ المحرم ١٢٤٨ | ١٥ يولية ١٨٣٢ |
| فتح دمشق | ٩ صفر ١٢٤٨ | ٨ يونيو ١٨٣٢ |
| انهزام محمد باشا والى طرابلس عند حمص | ١٨ صفر ١٢٤٨ | ١٧ يوليو ١٨٣٢ |
| استيلاء ابراهيم على حلب | ١ ربيع ١ ١٢٤٨ | ٢٩ يوليو ١٨٣٢ |
| هزيمة حسين باشا فى مضيق ببلان | ٢٧جمادى ٢ ١٢٤٨ | ٢١ نوفمبر ١٨٣٢ |
| هزيمة رشيد باشا فى واقعة قونية | شوال ١٢٤٨ | فبراير ١٨٣٣ |
| احتلال كوتاهيـه | | |

| | هـ | م |
|---|---|---|
| معاهدة كوتا هيـــه | ذى الحجة ١٢٤٨ | مايو ذ ١٨٣٣ |
| معاهدة هيكاراسكله سى | صفر ١٢٤٩ | يونية ١٨٣٣ |
| ابتداء خروج اهل الشام على ابراهيم باشا | | |
| استفحال الثورة فى الشام ـــ سفر محمـــد | | |
| على باشا الى الشام لاطفائها | ١٢٥٢ | ١٨٣٥ |
| انهزام المصريين فى الشام امام عرب حوران | ١٢٥٤ | ١٨٣٨ |
| تقرير الباب العالى اعلان الحرب على محمد | | ١٨٣٩ |
| على انتهازا لفرصة خروج الشام | ذى القعدة ١٢٥٤ | يناير ١٨٣٩ |
| احتلال بريطانيا لعـــدن | | |
| رجوع محمد على من السودان لما علم بذلك | ذى القعدة ١٢٥٤ | يناير ١٨٣٩ |
| هزيمة الجيش التركى بقيادة حافظ باشـــ | | |
| عند نصيبين | ١١ ربيع ٢ ١٢٥٥ | ٢٤ يونية ١٨٣٩ |
| مجـــىء الأســـطول العثمـــانى الـــى مصر | | |
| وانضمامه الى محمد على | ١١ ربيع ٢ ١٢٥٥ | ٢٤ يونية ١٨٣٩ |
| ابتداء تدخل دول أوربا فى المسألة المصريـــة | | |
| التركية | ١١ ربيع ٢ ١٢٥٥ | ٢٤ يونية ١٨٣٩ |
| انفراد فرنسا بمؤازة محمد على | ١١ ربيع ٢ ١٢٥٥ | ٢٤ يونية ١٨٣٩ |
| معاهدة لندن لاخضاع محمد على | ١٥ جمادى ١ ١٢٥٦ | ١٥ يوليو ١٨٤٠ |
| اعلان الباب العالى خلع محمد على عـــن الشـــام . | ٥ رجب ١٢٥٦ | ٢ سبتمبر ١٨٤٠ |
| عـــدم خضوع محمد على وشروع الدول فى اخضاعه بالقـــوة | ٥ رجب ١٢٥٦ | ٢ سبتمبر ١٨٤٠ |
| ضرب أسطايل الحلفاء ميناء بيروت | رجب ١٢٥٦ | ٢ سبتمبر ١٨٤٠ |
| هزيمة ابراهيم باشا فى برومانه ثم فى قلعة | | |
| ميدان واخلاء بيروت واستيلاء الحلفاء علـــى عكـــا | رجب ١٢٥٦ | ٢ سبتمبر ١٨٤٠ |
| ابتداء اخـــلاء الشـــام | ٥ ذى القعدة ١٢٥٦ | ٢٩ ديسمبر ١٨٤٠ |
| خضوع محمد على للسلطان | ذى القعدة ١٢٥٦ | يناير ١٨٤١ |
| صدور تقليد من السلطان بمنح محمد على ولاية مصر وراثيـــة | ٢١ ذى الحجة ١٢٥٦ | ٢٣ فبراير ١٨٤١ |
| تخفيف شروط هـــذا التقليد بتقليد آخـــر | صفر ١٢٥٧ | ابريل ١٨٤١ |
| تأييد هذا التقليد بآخر | ١١ ربيع ٢ ١٢٥٧ | ١ يونية ١٨٤١ |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٧ — شيخوخة محمد على ، وحكم ابراهيم | | | | | |
| انتشار طاعون الماشية بمصر وهبوط النيل واجتياح الجراد الزراعة | | | ١٢٥٩ | | ١٨٤٣ |
| سفر محمد على باشا الى الاستانة | رجب | | ١٢٦٢ | يولية | ١٨٤٦ |
| وضع محمد على باشا اول حجر من اساس القناطر الخيرية | ٢٢ ربيع ٢ | | ١٢٦٣ | ابريل | ١٨٤٧ |
| تقليد ابراهيم باشا ولاية مصر | شعبان | | ١٢٦٤ | ذ بؤابة ذ | ١٨٤٨ |
| اشتداد المرض على ابراهيم ووفاته | ١٣ ذى الحجة | | ١٢٦٤ | نوفمبر | ١٨٤٨ |
| وفاة محمد على باشا | ١٣رمضان | | ١٢٦٥ | ٢افسطس | ١٨٤٩ |

## مراجع البحث حسب اهميـة استعمالها : ـ


(١) هـ . س . ارمسترونج :
الذئب الأغر مصطفى كمال ـ كتاب الهلال المصرى ـ العدد ١٦ يوليو ١٩٥٢

(٢) د . عبد العزيز محمد الشناوى :
اوربا فى مطلع العصور الحديثة ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٩

(٣) دائرة معارف البستانى ـ القاهـرة

(٤) محمد جميل بيهم :
فلسفة التاريخ العثمانى ـ بيروت مكتبة الصادر ـ بيروت ١٩٢٥

(٥) أمين شاكر ـ سعيد العريان ـ محمد مصطفى عطا :
تركيا والسياسة العربية ( من خلفاء آل عثمان الى خلفـاء أتاتورك ) دار المعارف بمصر ١٩٥٤

(٦) د. أحمد محمود الساداتى :
تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ـ دار الثقافة للطباعـة والنشر القاهرة ١٩٧٩

(٧) د . فائق بكر الصواف :
العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ( ١٨٧٦ ـ ١٩١٦ ) مطابع سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٩

(٨) محمد حرب عبد الحميد :
العثمانيون المـفترى عليهم مجلة العربى الكويتية العدد ٢٤٤ ـ الكويت مارس ١٩٦٩

(٩) محمد غنيم :
لب التاريخ ـ القاهرة ١٣٢٧ هـ

(١٠) هربرت فيشر :
اصول التاريخ الاوربى الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية
ترجمة د . زينب عصمت راشد ـ د . أحمد عبد الرحيم مصطفى دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٢

(١١) حسين لبيب :
تاريخ المسالة الشرقية ـ مطبعة الهلال ـ القاهرة ١٩٢١

(١٢) Lewis Gcoffery Turky New york 1951

(١٣) د . محمد أنيس :
الخطوط الرئيسية لسياسة انجلترا تجاه الدولة العثمانية فى القرن التاسـع عشر ـ مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد الثامن القاهرة ١٩٥٩

(١٤) د . آلما وتلن :
عبد الحميد ظل الله على الارض ـ ترجمة راسم رشدى ـ دار النيل للطباعة القاهرة ١٩٥٠

(١٥) محمد رفعت بك :
التيارات السياسية فى حوض البحر الابيض المتوسط ـ لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٩٥٩

(١٦) د . ارنست ا . رامزور :
تركيا الفتاة وثورة سنة ١٩٠٨
ترجمة د . صالح أحمد العلى ( قدم له وراجعه د . نقولا زيادة ) ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٠

(١٨) Davey Richard : The Sultan and his Subjects New york 1897.

(١٧) Personal Reccollections of Abdul Hamid and his Court, Ninetanth Century LXVI july 1959.

(١٩) د . ابراهيم أحمد العدوى :
قادة التحرير العربى فى العصر الحديث ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ط ٢ ١٩٦٤

(٢٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى :
« دعوة لفتح ملف الدولة العثمانية » مجلة العربى الكويتية ـ العدد ٢٣٣ أبريل سنة ١٩٧٨

(٢١) د . نور الدين حاطوم :
نحن بحاجة لثورة علماء ومصلحين ـ مجلة العربى الكويتية ـ العدد ٢٣٥ يونيو سنة ١٩٧٨

(٢٢) د . محمد كمال الدسوقى :
الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ـ دار التعاون للطباعة والنشر ـ

(٢٣) Marriott, J.A.R. History of Europ, 1815-1936 London 1937.

(٢٤) Fisher, S.N.
The Foreign reations of Turky 1481-1512 Urbane 1943.

(٢٥) محمد عطية على :
هلال انقرة العثمانى ( الغازى مصطفى كمال باشا قائد الشرق العظيم ) القاهرة ١٩٢٣

(٢٦) جريدة اللواء المصرية عدد ٦ مايو ١٩٠٩

(٢٧) Mousharrafa, S N.
Atatürk ( A Biography ) Cairo 1944.

(٢٨) د . محمد كمال الدسوقى :
السياسة الدولية وفلسطين ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٧٦

(٢٩) د . عون الشريف قاسم :
الاسلام والثورة الثقافية ـ مجلة الدوحة القطرية ـ عدد يوليو سنة ١٩٧٨
(٣٠) محمد عزة دروزة :
تركيا الحديثة ـ مطبعة الكشاف ـ بيروت ط ١ سنة ١٩٤٦
(٣١) مصطفى امين :
لكل مقال ازمة ـ دار الشروق ط ١ ـ القاهرة ١٩٧٩
(٣٢)
Alderson, S.D.
The Structure of the Ottoman Dynasty, Oxford 1959
(٣٣) كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ترجمة نبيه امين فارس ـ منير بعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٥ط ١٩٦٨
(٣٤)
Stavrianos, L.S.
The Balkans since 1483 — New York 1958
(٣٥)
Cehon, L.
L'introduction à histoire de l'Asie Paris 1896.
(٣٦) ساطع الحصرى :
البلاد العربية والدولة العثمانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٠
(٣٧) عبد الرحمن حسن الجبرتى :
عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ـ القاهرة مطبعة بولاق ـ القاهرة ١٢٩٦ ط
(٣٨)
Lewis, Bernard :
The Emergence of Modern Turkey, London 1938.
(٤٠) أحمد شفيق باشا :
مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ عباس حلمى الثانى من يناير ١٩٠٣ ـ ١٩١٤
القاهرة ١٩٣٦
(٤١) دكتور محمد حسين هيكل باشا :
مذكرات فى السياسة المصرية ـ القاهرة ١٩٥١ جـ ١
(٤٢) دكتور محمد صفوت :
انجلترا وقناة السويس ( ١٨٥٤ ـ ١٩٥١ ) القاهرة ١٩٥٢
(٤٣) السيد أبى الحسن على الحسينى الندوى :
ماذا خسر العالم باغطاط المسلمين ـ دار الكاتب العربى ـ بيروت ط ٧
١٩٦٧
(٤٤) Toynbee, Arnold : Study of History. The Osmanlis Vol. III.
(٤٥) دكتور لويس عوض :
تاريخ الفكر المصرى الحديث (الخلفية التاريخية ) جـ ١ كتاب الهلال ط ٣
العدد ٢١٥

(٤٦) عبد العزيز بدر :
مصر الحديثة قبل الاحتلال البريطانى وبعده ( سلسلة محاضرات القاها المؤلف امام شعبه حزب العمال بمانشستر ) القاهرة مطبعة مصر ١٩٢٣.
(٤٧) دكتور محمد صبرى :
تاريخ العصر الحديث ( مصر — الولايات المتحدة — الاستعمار الاوربى ) — مطبعة مصر — القاهرة ١٩٣١.
(٤٨) دكتور أحمد السيد دراج — دكتور محمد انيس :
دراسات فى التاريخ المصرى — دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٧٦.
(٤٩) عبد الرحمن الرافعى :
عصر محمد على ط ٣ — القاهرة ١٩٥١.
(٥٠) دكتور محمد كمال الدسوقى :
الدولة العثمانية والمسالة الشرقية — دار الثقافة للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٧٦
(٥١) اللواء عبد المنصف محمود باشا :
ابراهيم الفاتح ط ٥ القاهرة ١٩٤٨
(٥٢) البكباشى عبد الرحمن زكى :
مصر الظافرة ( صفحة من تاريخ وادى النيل القومى ) القاهرة ١٩٤٦
(٥٣) محمود كامل :
العمل لمصر ( صفحة من تاريخ وادى النيل القومى ) القاهرة
العمل لمصر ( بعث دولة واحياء مجد ) مطبعة الاعتماد بمصر — القاهرة ١٩٥١
(٥٤) دكتور محمود متولى :
المقاتل المصرى فى عصر محمد على — مجلة الموقف المصرية — العدد ١٩ نوفمبر ١٩٧٨
(٥٥) محمد رفعت تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ط٢ القاهرة ١٠٢٦
(٥٥) محمد رفعت :
محمد على والخلافة — مجلة المقتطف المصرية — عدد نوفمبر سنة ١٩٢٣
(٥٦) محمد رفعت :
(٥٧) ابراهيم زكى بك :
الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنساوية ومحمد على — المطبعة العصرية بمصر

# فهـرس الكتـاب

الصفحة


الاهـــداء . . . . . ٣

مقدمـــة . . . . . ٥

تمهيـــد . . . . . ٨

الفصل الأول : . . . . . ١٦

حـول نشـأة وســقوط الدولة العثمانيـــة

الفصل الثانى : . . . . . ٥٧

الامبراطورية العثمانية وحمايـــة الدين الاسلامى

الفصل الثالث : . . . . . ٦٦

حول العلاقات المصرية العثمانية فى النصف الأول
من القرن الـ ٢٩

المراجـــع والمصادر . . . . . ٩٠

الملاحـــق . . . . . .

## كتب للمؤلف

- ماذا يريد الشعب ؟
- الاتحاد الاشتراكى العربى وعاء الديموقراطية .
- التنظيمات الشعبية فى ج٠م٠ع .
- جمال سعيد الفيلسوف الاقتصادى الراحل .
- المذاهب الاقتصـــادية والاجتماعية .
- الأمم المتحدة والســـلام العالمى .
- الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية .
- حادث ٤ فبراير فى التاريخ المصرى المعاصر .
- مصر والحركة الشيوعية خلال الحرب العالمية الثانية .
- افريقيا فى العلاقات الدولية ( بالاشتراك ) .
- أوربا المعاصرة ( بالاشتراك ) .
- الحركة الصهيونى والعالم العربى ( بالاشتراك ) .
- اسرائيل الحقيقة والمستقبل .
- مأساة العصر فى تاريخ مصر .
- اتفاقية رودس بين العرب واسرائيل سنة ١٩٤٩ .
- الامبراطورية العثمانية والعلاقات المصرية .
- مصر والحياة الحزبية والنيابية .
- **مصر والاغتيالات السياســـية .**

# مكتبة التاريخ العثماني

دار وهـــدان للطباعة والنشر
تليفون ٩٠٥٠٣٦

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بكلية آداب جامعة المنيا

* حاصل على : ليسانس فى الآداب جامعة عين شمس ـ ليسانس فى الحقوق جامعة القاهرة :

، دبلوم معهد السياحة العالى ـ دبلوم معهد الرأى العام والاعلام

، ماجستير فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى بدرجة الامتياز

، دكتوراة فى التاريخ الحديث والمعاصر بمرتبة الشرف الاولى

* أسلوبه متميز وآراءه منطقية تعبر عن ثقة فى النفس وتحدى للصعاب

* شارك فى الكثير من المؤتمرات العلمية فى داخل وخارج مصر

* كتب أكثر من عشرين كتابا فى موضوعات متعددة منها ما هو فى التاريخ السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى أو الفكر السياسى أو العلاقات الدولية

* له العديد من المقالات فى الصحافة المطبوعة أو الاذاعة .

* من أشهر كتبه التى نفذت : ـ

مأساة العصر فى تاريخ مصر ـ اسرائيل الحقيقة والمستقبل ـ الأمم المتحدة والسلام العالمى ـ الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية المذاهب الاقتصادية الاجتماعية ـ مصر والحركة الشيوعية .

* يؤمن بأن الماضى لا يجب أن يكون قاضيا للحاضر حتى لا يضيع المستقبل وأن أجمل ما فى الحياه المعرفة لأن الثقافة هى التى تجعل الانسان انسانا .

**الدكتور محمود متولى**